



## ندوة: "المصدر المفتوح في عالم الإنترنت والأوراق الدبلوماسية الأميركية المسربة كمعطى"

٤-٥-٦ آذار/مارس ٢٠١١

بيروت - لبنان (فندق البريستول)

الجلسة الثالثة (اليوم الثاني): ٥ آذار/مارس ٢٠١١

المحور الثاني: الأوراق الدبلوماسية الأميركية المسربة

الأوراق الدبلوماسية الأميركية المسربة وتداعيات الدبلوماسية

## . الدكتور رياض طبارة<sup>٣٥</sup> (رئيس الجلسة)

ترأس الجلسة الثالثة من اليوم الثاني، الدكتور رياض طبارة، وعرف بداية بالدكتور محجوب الزويري على إنه رئيس قسم العلوم الإنسانية في جامعة قطر، وأكاديمي متخصص بتاريخ إيران المعاصر والشرق الأوسط. وأشار إلى إنه عمل رئيساً لوحدة الدراسات الإيرانية في مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية. وكان قد حاز على دكتوراه في تاريخ إيران الحديث من جامعة طهران سنة ٢٠٠٢. ومنذ عام ٢٠٠٣، وهو يعمل زميلاً باحثاً ثم مديراً للدراسات الإيرانية، في معهد الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في جامعة درهام في بريطانيا. وقد توسع في الكتابة عن إيران وعن الشرق الأوسط باللغات العربية والإنكليزية والفارسية. وذكر إن محاضراته ستكون باللغة العربية. واختتم إنه ساهم بمقالات عديدة في المجلات الأكاديمية الدولية. يتقن الإنكليزية والفارسية إضافة إلى اللغة العربية. وله العديد من المؤلفات.

### ملخص ورقة الدكتور محجوب الزويري

تحت عنوان "إيران في وثائق الخارجية الأميركية المسربة، قراءة الدبلوماسية حين تغيب العلاقات الدبلوماسية". ألقى الدكتور محجوب الزويري محاضراته عن إيران في وثائق ويكيليكس واعتبرها في غاية الأهمية، وإن لم تحظ بالقدر الأكبر من الاهتمام، باستثناء حجم المقالات الذي تم نشره وهو يتعلق بقضايا متفاعلة ومرتبطة بإيران. ثم تلا ورقته على الحاضرين مركزاً على محاور رئيسية:

**في المحور الأول** بدأ بالتساؤل إن كانت الوثائق المسربة هي تماماً تشابه الوثائق الموجودة في الأرشيف البريطاني التي نعتمد عليها الآن في كتابة تاريخ الكثير من الدول العربية؟ بمعنى آخر تملك هذه الوثائق نظاماً خاصاً بالترميز، وشكلاً من التصميم format أو الترتيب، يتعلق بالتاريخ ويرتبط بالشخص المسؤول، ويشير إلى الموضوع أو الملخص، قبل أن تبدأ المعلومات تنهمر على الباحث. وبالتالي لديها الطريقة نفسها في الترميز التي تجعل منها مصدراً لكتابة التاريخ، ربما خلال العشر أو العشرين سنة القادمة، إذا ما أردنا

<sup>٣٥</sup> دكتور في الاقتصاد من جامعة فاندربيلت في الولايات المتحدة. عمل أستاذاً في جامعة بيركلي في كاليفورنيا. أمضى سنين عدة خبيراً في ملاك الأمم المتحدة، حيث عمل في مراكز قيادية مختلفة منها مدير قسم التنمية الاجتماعية والسكان والمستوطنات البشرية في الإسكوا، وممثل للأمم المتحدة لدى الجمهورية التونسية وجامعة الدول العربية. وبعد الأمم المتحدة انتقل مجدداً إلى الحياة الأكاديمية، فعمل عميداً لكلية العلوم الصحية في الجامعة الأميركية في بيروت (١٩٩١-١٩٩٣)، ثم عين سفيراً للبنان في واشنطن (١٩٩٤-١٩٩٧). وبعد عودته إلى لبنان عمل مديراً لمركز الدراسات والمشاريع الإنمائية (مدما) الذي كان قد أسسه سابقاً. كما شغل منصب مستشار لدولة رئيس مجلس الوزراء الرئيس الشهيد رفيق الحريري، للشؤون الخارجية. له عدة كتب في الاقتصاد والاجتماع والإحصاء، وعدد من المقالات في المجلات العلمية الأميركية والدولية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية. كما نشر مقالات سياسية عدة في الصحف والمجلات العربية.

العودة إلى هذه الفترة. هذا أمر مهم وبالتالي لا يمكن التقليل من شأنها، ولكن يجب التعامل معها كأى مصدر تاريخي آخر.

وتساءل الدكتور الزويري مجدداً: "لماذا تعتبر إيران مهمة في وثائق الويكيليكس المسربة؟" وفي محاولته الإجابة عن سؤاله أشار إلى ما يلي:

أولاً، تتعلّق جميع الوثائق، أو لنقل إن نسبة كبيرة من الوثائق المسربة تتعلق بما تكتبه السفارات الأميركية في دول ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع واشنطن؛ بمعنى آخر، السفارة الأميركية في بيروت والسفارة الأميركية في اليابان، وفي عمان، وفي أي دولة. ولكن الوثائق الدبلوماسية المسربة عن إيران، ليست صادرة عن سفارة أميركية في طهران، لأنه ليس هناك سفارة أصلاً. وبالتالي تتعلّق الوثائق المسربة عن إيران بقراءة مقدمة من خارج إيران عن إيران. وأكد إنه اطلع على الوثائق الموجودة على موقع صحيفة *The Guardian* البريطانية، وهي تحصي ١٠٢ وثيقة من هذه الوثائق وهي بحوزته. لكن هذه الوثائق، وفقاً للدكتور الزويري، تتحدث عن ثلاثة مصادر معلومات أساسية. هي باكو في أذربيجان، والإمارات العربية المتحدة، وتركيا بشكل أساسي. بمعنى آخر، هناك مصدر للمعلومات بشأن إيران. وتقول إحدى الوثائق بصريح العبارة: "قال لنا رجل أعمال من إقليم بلوشستان إنّ هناك قلائل في إقليم بلوشستان السني"، إلى غير ذلك. إذاً، عملياً هذه وثائق مثيرة، إذ إنها ليست صادرة عن سفارات، فلا سفارات ولا علاقات دبلوماسية، ولا سفراء يتقابلون مع مسؤولين إيرانيين، حتى يعرفوا لغة العيون ولغة الوجه وغيرها. وبالتالي هي عبارة عن وثائق تعتمد على مصدر ثالث، ما يجعلها ربما أكثر أهمية، ويجب التعامل معها بحذر كبير.

بعدها انتقل ثانياً، ليقول إن هذه الوثائق المتعلقة بإيران، تدور في جزء كبير منها حول لقاءات جمعت بين مسؤولين أميركيين ذوي مرتبة عالية، ومسؤولين في دول إقليمية. بمعنى أنهم يأتون بالفكرة الأميركية ليتحدثوا بشأنها مع مسؤولين عرب أو غير عرب. يأتي مثلاً نائب وزير الدفاع الأميركي إلى دولة عربية، ثم يبدأ بالحديث عن فلسفة أو سياسة أميركا الخارجية نحو إيران. ويتحدث مثلاً عن موضوع البرنامج النووي الإيراني، ويتحدّد بالتالي النقاش ضمناً بما يقوله المسؤول الأميركي، ما يعني إنه هو من يحدد الأجندة سلفاً، ما يجعل هذه الوثائق عبارة عن صدى لحقيقة الرؤية الأميركية، وليس كما نراه في وثائق أخرى. ويعطي الزويري مثلاً عن مسؤول أميركي اجتمع في بلد ما بوزير، ونقل عنه معلومات أو التقى معه إما لتناول غداء أو عشاء أو لشرب فنجان قهوة، وبالتالي نقل معلومات مختلفة. واعتبر الدكتور الزويري إنه بالنسبة إلى الوثائق المتعلقة بإيران، يلتقي المسؤول الأميركي بأشخاص، وبعدها يكتب محضر هذا الاجتماع، لتعكس سطور المحضر المذكور وجهة النظر الأميركية أكثر مما تعكس وجهة النظر المحلية.

وجدد الدكتور الزويري تساؤله متسائلاً عن حجم المعلومات الموجودة في هذه الوثائق الآن، ليحدّد في إجابته أربعة عناصر أساسية هي:

أولاً، هنالك كم كبير من المعلومات بشأن القراءة الأميركية لسياسة إيران في الشرق الأوسط. وهذا يتعلق بموضوع العراق، وموضوع العلاقة بحماس، وموضوع العلاقة بحزب الله، وما تفعله جميع سياسات إيران الخارجية في المناطق العربية. فهناك الكثير من الوثائق المتعلقة بهذا الأمر.

ثانياً، موضوع الملف النووي الإيراني، والقدرة الصاروخية الإيرانية، وكم المعلومات المتداوله بهذا الشأن. إذ إنه عندما يتم الحديث مع بعض زعماء دول الخليج العربي، يبدأون الحديث عن البرنامج النووي الإيراني والحديث عن القدرة الصاروخية وعبرون عن قلقهم منها. وتناول الزويري الحديث عن الخيار العسكري، إذ يتساءل هؤلاء الزعماء إن كان هناك نية لاجتياح إيران أم لا؟ وهل سيتم توجيه ضربة عسكرية إلى آخر ما هنالك من تفاصيل.

ثالثاً، المخاوف الإقليمية. وشرح الزويري اختياره لتعبير المخاوف الإقليمية لأنه اعتبر إن الأمر يتعلق بالصدى الإسرائيلي، إذ ينقل المسؤولون الأميركيون مخاوف الإسرائيليين إلى العرب، فتبدو وكأنها صدى للمخاوف العربية. ويبدو هذا الأمر مهماً ومثيراً للجدل وفقاً للزويري، وبخاصة في التفاصيل، لأنه أحياناً ينضح بين السطور عدم قناعة بعض المسؤولين العرب بهذا الكلام، إذ لا تغطي الوثائق الأمور بشكل كامل، إذ إن كانت إيران تشكل خطراً أحياناً، فإسرائيل هي أيضاً تشكل خطراً.

رابعاً، هناك حديث عن المشهد السياسي داخل إيران. تتناول الوثائق الأزمة الاقتصادية، والأزمة العرقية والمذهبية في إيران، وبعض الشخوص في النظام السياسي.

وتابع الدكتور الزويري مبيناً أن هذه المعلومات كلها لم يتم تجميعها والعثور عليها بناء على مصادر من إيران نفسها، وإنما من مناطق أخرى مثل باكو، والإمارات العربية المتحدة، وتركيا. وأضاف أن المعلومات قد تصدر عن سفارات الولايات المتحدة في بلدان أخرى كباكستان وأفغانستان. ويعود سبب ذلك أن هذه المناطق تشهد تردداً كبيراً للإيرانيين، إذ إن ملايين الإيرانيين يذهبون إلى باكو في أذربيجان، ويزور ملايين الإيرانيين الآخرين تركيا في حين يتردد إيرانيون آخرون إلى الإمارات. وبالتالي هنالك معطى. وذكر أن الولايات المتحدة أسست مكاتب أطلقت عليها اسم مكاتب العلاقات العامة في هذه المناطق، ويسمون هذه المكاتب Iran watchers أي مكاتب لمراقبة إيران؛ في حين أن إيران تسمي هذه المكاتب مكاتب تجسس، وتعتبرها الولايات المتحدة مكاتب للدبلوماسية العامة. ويقوم هؤلاء بالاتصال بالإيرانيين الموجودين هناك، ويتم التواصل

معهم وتزويدهم بالمعلومات بشأن ما تشهده إيران، فشدّد الزويري بالتالي على الحاجة إلى فلترة وإلى ترشيح المعلومات قبل الاعتماد عليها. وأكد إن المعلومات بالطبع تعتمد أيضاً اعتماداً كبيراً على الصحافة. وذكر أن سنة ٢٠٠٩ شهدت الحديث عن الدور الإيراني في العراق، وأعطى الزويرة مثلاً لذلك الوثيقة المؤرخة في الشهر الرابع ٢٠٠٩، وقارنها بالأخبار المرتبطة بالشهر الثالث من سنة ٢٠٠٩، في الصحيفتين الأمريكيتين واشنطن بوست، والنيويورك تايمز، إذ وجد كلاهما تتاولان التدخل، فبدت الوثيقة التي بين يديه وكأنها صدى لهذا الكم الهائل من الأخبار. وأشار إلى شيء فيها أثارت انتباهه كونها مرتبة وموضوعة بشكل خاص يربطها بالجهة التي أرسلتها، وقد يكون ما يسمى بمكاتب مراقبة إيران في باكو، أو في دبي.

أما في ما يتصل بموضوع تقييم البرنامج النووي الإيراني، فقد توقف الدكتور الزويري عند ملاحظة تتصل بالتفاوت في تقييم البرنامج النووي الإيراني. إذ لاحظ على سيل المثال إن لقاءات جمعت بين نائب وزير الدفاع الأميركي بمسؤولين عرب، وفي لقاءات أخرى جمعت مسؤولين عرب بمسؤولين في وزارة الخارجية، ظهرت تفاوتاً بشأن تقييم البرنامج النووي الإيراني. وتطرق إلى ذلك بالتفصيل مقدماً مثلاً لذلك القلق من الموضوع البيئي في دول الخليج الذي طرح في بعض هذه التسريبات، إضافة إلى التساؤل تلميحاً بشأن الموقف الواجب اعتماده في حال حدوث ضربة عسكرية. وأضاف الزويري أنه يبدو أن المواقف متباينة زمنياً أيضاً، إذ أنه قبل انتخاب محمود أحمدني نجاد في حزيران/يونيو ٢٠٠٩ على سبيل المثال، كان الموقف السائد يقول بأنه ليس هناك مناسبة للحديث عن ضربة عسكرية، في حين إنه بعد حزيران/يونيو ٢٠٠٩، تجد اللحن واللهجة قد تغيرا، إذ بات الموقف يتبنى إمكان التفكير بهذا الخيار، وجعله موضع نقاش. بمعنى آخر، باتت الضربة العسكرية قد تعطي نتيجة. واستنتج الزويري أن الكثير من الاستنتاجات الموجودة في هذه الوثائق بعد سنة ٢٠٠٩، وتحديداً صيف ٢٠٠٩، اعتمدت على المشهد السياسي الإيراني، وما كان يحدث فيه، وطبيعة النزعة الاستعلانية الإيرانية تجاه المجتمع الدولي، وبخاصة الولايات المتحدة، ومواصلة البرنامج النووي بما يشمله من زيادة عدد أجهزة الطرد المركزية وزيادة كمية اليورانيوم المخصّب وغيره.

ولفت الدكتور الزويري إنه في المقابل شهدت تلك المرحلة هجمة من قبل الولايات المتحدة تسعى إلى شيطنة إيران وإلى تبني مسار المواجهة مع إيران، مضيفاً إنه يمكن التمييز بسهولة بين ما قبل سنة ٢٠٠٩، وما بعد سنة ٢٠٠٩.

وتوقف الدكتور الزويري عند قضية توقيت التسريب والرد الإيراني، مذكراً بأن التسريب جاء في فترة تعتبر غير مناسبة بالنسبة إلى إيران، إذ كانت تشهد فيها البلاد تضعفاً في الجبهة الداخلية، وكانت تشهد أسئلة كثيرة بشأن مشروعية النظام إضافة إلى أسئلة كثيرة بشأن مشروعية الرئيس المنتخب، بسبب نزاع داخلي

نشبت بين التيارات السياسية. وكان هناك رغبة في احتواء الأزمة الداخلية. وبالتالي جاء الرد الإيراني سريعاً ومفاده إن مقولة إن العرب يفكرون بنا بشكل سيء، هو كلام غير مقبول، واعتبرت إيران أن هذا الكلام هو دعوة للفتنة بين الإيرانيين وإخوتهم العرب وفقاً لما جاء على لسان الرئيس الإيراني أحمدني نجاد. ويخلص الزويري أن الرد الإيراني حمل نوعاً من التهذبة، ورغبة في تحييد هذا الملف في ذلك الوقت. وأعرب عن اعتقاده بأنه لو جاءت هذه التسريبات في وقت كانت فيه إيران داخلياً أقوى، لكان ردها على التسريب أقوى بكثير ولكانت وجهت انتقاداً شديداً للموقف العربي المبطن نحو إيران.

وأقر الزويري، ومن دون أدنى شك، أن الوثائق تكشف التمايز أو عدم تجانس الموقف المعلن والموقف الحقيقي لبعض الزعماء العرب، وإن اعتبر أن ذلك أمر معروف لدى إيران، إذ إنها تعرف موقف الدول العربية منها منذ سنة ١٩٧٩، ولا جديد في ذلك. صحيح أن هناك علاقات دبلوماسية بين إيران وبعض الدول العربية، إلا إن الإيرانيين يعرفون أن هناك حجماً من الشك والريبة بشأن إيران يساور بعض قادة الدول العربية.

وفي هذا السياق، أشار الزويري إلى وثيقة بالأممية نفسها، تتحدث عن تقييم عمر سليمان، وزير الاستخبارات المصري، لإيران. وهو يتحدث مع مسؤول أميركي، ويتطرق في الحقيقة إلى أمرين، إذ يتناول في الأول عن تجميد حماس، في حين إنه يقول في الثاني حرفياً: "إن إيران تشكل تهديداً للأمن القومي المصري". وهناك حديث طويل ينم عن محاولة للفهم، مثل البعد الجغرافي، إلا إن الإصرار يبدو واضحاً على أن إيران تشكل تهديداً للأمن القومي المصري تحديداً، وأنه لا بد من العمل سريعاً لمواجهة هذا التهديد.

واختتم الزويري بحثه بنقطتين بشأن قضية تسريب الوثائق والرد الإيراني عليها. وقال في **النقطة الأولى** أن ما تم تسريبه من وثائق بشأن إيران ضمن وثائق وزارة الخارجية الأميركية المسربة، يجب أن يؤخذ على أنه من دون أدنى شك امتداد لنسق الموقف السياسي الدولي المعلن من إيران، وليس موقفاً مختلفاً، بل لا يمكن فصله عما هو سائد، إذ إنه هو امتداد لموقف الدول الرسمي من إيران. ليس هنالك شك، أن ما سرب في ويكيليكس قد ينهي، مقولة التقارب الأميركي. إيران خلف الأبواب المغلقة. بمعنى آخر، أكد الزويري أن إيران تنتظر إلى واشنطن كشيطن وواشنطن تنتظر إلى طهران كشيطن، وهذا ما يبدو مؤكداً في الوثائق المسربة، إذ إن الشك موجود عند الطرفين.

وقال في **ملاحظته الختامية الثانية** إنه، ومن دون أي تشكيك، ولو عدنا إلى الوراء قليلاً، وافترضنا أن الأجواء كانت غير تلك الأجواء السائدة، لكانت إيران ربما في ردها على وثائق ويكيليكس، أكثر تشدداً، تجاه

الدول العربية تحديداً. لكن، يبدو أن عامل الوقت كان لصالح بعض الدول العربية، لكنه بالتأكيد لم يأت لصالح إيران.

### . رئيس الجلسة: الدكتور رياض طيارة

شكر رئيس الجلسة الدكتور طيارة الدكتور الزويري على التزامه بالوقت المخصص له. ثم قدّم للدبلوماسي الأردني حسن أبو نعمة، معرّفاً به بالقول: "هو دبلوماسي سابق خدم في الخارجية الأردنية خمس وثلاثين عاماً. وعمل سفيراً في بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ والمفوضية الأوروبية، والمجلس الأوروبي وإيطاليا وجمهورية سان مارينو في البرتغال. ومنذ سنة ١٩٩٢، انضم إلى الوفد الأردني لمفاوضات السلام الأردنية - الإسرائيلية في واشنطن. عمل سفيراً وممثلاً دائماً للأردن في الأمم المتحدة في نيويورك. وفي الوقت نفسه اعتمد سفيراً غير مقيم في كوبا وباناما. هو رئيس قسم الأبحاث في وزارة الخارجية الأردنية سابقاً، وسفير معتمد لعدد من المنظمات الدولية. عيّن بعد تقاعده من الخارجية الأردنية في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠، في المؤسسة الملكية للدراسات في الأديان لمدة خمس سنوات، ومن ثم مديراً للمركز الإقليمي للأمن الإنساني، يكتب في الصحف المحلية بالإنكليزية والعربية، وهو متخصص في الشرق الأوسط مع التركيز على الصراع العربي - الإسرائيلي، واختتم رئيس الجلسة تقديم المتحدث بالقول بأنه قرأ الملخص الجذاب عن الأوراق السرية والتداعيات الدبلوماسية، أي الشق الدبلوماسي من هذه الورقة.

### . ملخص ورقة سعادة السفير حسن أبو نعمة<sup>٣٦</sup>

تناول الدكتور أبو نعمة في ورقته موضوع: "التسريبات: هل هي انتقاص للدبلوماسية"، وباشر حديثه بداية بتناول التحولات في مفهوم العمل الدبلوماسي إذ اعتبر إن مفهوم العمل الدبلوماسي وكذلك الممارسات الدبلوماسية التقليدية، قد تعرضت لتحولات جذرية على مدى القرون والسنين، ولا سيما في الآونة الأخيرة، بسبب تقلص المسافات ووفرة وسائل الاتصال، وضعف دور البعثات الدبلوماسية مقارنة بما كان عليه في السابق، عندما كان الممثل الدبلوماسي هو المتحكم في العلاقات بين الدولة المرسلّة والدولة المستقبلة. وحتى

<sup>٣٦</sup> دبلوماسي سابق خدم في الخارجية الأردنية ٣٥ سنة من ١٩٦٥ حتى ٢٠٠٠، وعمل منذ سنة ١٩٧٨ سفيراً في بلجيكا وهولندا واللوكسمبورغ والمفوضية الأوروبية والمجلس الأوروبي وإيطاليا وجمهورية سان مارينو والبرتغال. وانضم منذ سنة ١٩٩٢ إلى الوفد الأردني في مفاوضات السلام الأردنية - الإسرائيلية في واشنطن. وعمل سفيراً وممثلاً دائماً للأردن في الأمم المتحدة في نيويورك بين سنة ١٩٩٥ و سنة ٢٠٠٠، وفي الوقت نفسه اعتمد سفيراً غير مقيم في كوبا وبنما. وعمل كرئيس قسم الأبحاث في وزارة الخارجية الأردنية سابقاً، وكسفير معتمد لدى عدد من المنظمات الدولية. عيّن بعد تقاعده من الخارجية الأردنية في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠، في المؤسسة الملكية للدراسات بين الأديان لمدة خمس سنوات، ومن ثم مديراً للمركز الإقليمي للأمن الإنساني حتى نهاية سنة ٢٠١٠. يكتب في الصحف المحلية بالإنكليزية والعربية، وهو متخصص بالشرق الأوسط مع التركيز على الصراع العربي - الإسرائيلي.

لا يساء فهمه وكي لا يعطي الانطباع بأن المؤسسة الدبلوماسية هي في طريقها إلى الانقراض، أعاد الدكتور أبو نعمة التأكيد على أن الذي طرأ على العمل الدبلوماسي وبسبب تلك التطورات وتقدم حياة الإنسان وازدهارها، هو تحول في الممارسات والمهام والأدوار فحسب، إذ إن المؤسسة الدبلوماسية لا تزال قائمة وتتنامى الحاجة إليها قوة. وأشار إلى إن هنالك عناصر مشتركة طبعاً، ولكن أساليب الدول وقواعد عملها وممارساتها تتفاوت من دولة إلى أخرى بحسب أهمية الدولة ونفوذها السياسي والاقتصادي أو قدرتها على التأثير، كما تتباين حاجة الدولة الأخرى للاقتراب منها أو التودد إليها، وكذلك بسبب عوامل بديهية معروفة أخرى.

واعتبر الدكتور أبو نعمة أن العامل المشترك الذي لم يتغير في أروقة العمل الدبلوماسي، هو أن الحرص على السرية ظل من أحد أبرز الممارسات الدبلوماسية، ولم يجد استثناءً لقاعدة الاهتمام بالسرية. وما تجدر الإشارة إليه هو أن أكثر الدول تحرص على السرية، ونحن في العالم العربي بالذات نبالغ أحياناً في الحرص على السرية في معاملاتنا ومداوماتنا الرسمية حتى في الأطر الداخلية، وذلك من قبيل الاعتقاد، أن المعلومة هي حق وامتياز للمسؤول، وأن اشتراك الجمهور بها يضعف هيبة المسؤول، ويقلل من أهمية موقعه وعمله وقدرته على الاستحواذ والتحكم. وتابع أبو نعمة إنه قد يكون العامل الأهم هو عندما يكون لسان حال المسؤول يقول: "لدي ما أخفيه"، أي عندما تترتب عن كشف المعلومة عواقب غير مستحقة. وأشار إلى المسؤول إذ يقول عندما يتعرض للنقد بسبب تستره على أمر ما: "ليس لدي ما أخفيه؛" وفي أغلب الحالات يكون لدى المسؤول أو لدى الدولة ما تخفيه، لذلك استوجبت السرية بالرغم من التشدد المستمر بالشفافية والعمل تحت الضوء. أما التشريعات التي سنّتها بعض الدول العربية أو تكاد دول عربية أخرى أن تستنها بشأن حق الحصول على المعلومة، فلم تثبت جدواها حتى الآن، ولم تتوافر للمواطن، السبل السهلة للوصول إلى المعلومة فعلاً، إذ لا يزال الكتمان هو وسيلة الدول والساسة والمسؤولين للتستر على ما قد يسبب وجع رأس، ويفتح عيون الناس على ما لا يجب أن يكونوا على علم به.

أما ما هو أسوأ من ذلك، بحسب الدكتور أبو نعمة، فهو أن الدول لم تلجأ إلى إخفاء الحقائق المحرجة فحسب، بل إنها تلجأ إلى الكذب والتزوير وتحريف الواقع. ويحفل التاريخ الحديث بالأمثلة وبخاصة في ما يتعلق بممارسات الدول الكبرى ومعاييرها المزدوجة، وبعض الدول الديمقراطية الأخرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية.

بعدها انتقل أبو نعمة إلى إبداء عدد من الملاحظات بشأن موضوع هذه الندوة، معتمداً على عرض قدمه عن تجربته الشخصية في العمل الدبلوماسي لفترة طويلة، مشيراً إلى إن الكتمان والسرية في العمل وفي التقارير



التي ترفع لوزارة الخارجية، من أهم النقاط المؤكدة في ذلك العمل. وكان للبريد الدبلوماسي وللحقيبة الدبلوماسية حصانة خاصة تمنع فتحها أو تفتيشها إلا وفق شروط غاية في الصعوبة والدقة ولها أعرافها خاصة. وذكر أبو نعمة أنه كانت تحرص بعض الدول على إرسال حقيبة مع موظف دبلوماسي خاص، يسمى بـ "حامل الحقيبة"، تُربط بيده بواسطة قفل خاص، حتى لا تتمكن أي مؤامرة من فصلها عنه بدنياً، ومن الاستيلاء عليها تحت أي ظرف من الظروف. أما البرقيات، فكانت لها شيفرة خاصة تتغير رموزها باستمرار، وأحياناً بصورة يومية. ثم لفت إلى إنه قد يكون بعض هذه الأمور قد تغيرت الآن، إلا إن التقارير عن الاتصالات بالدول وعن مجمل النشاطات الأخرى كانت تتضمن، كما هو حال ويكيليكس، انطباعات شخصية بالتأكيد. ولاحظ إن أكثر الكتابات تاريخية لا تخلو من التلون بلون كاتبها مشيراً إلى إن الفارق فقط يكمن في مقدار الاقتراب من الموضوعية المجردة أو الابتعاد عنها لدى تحكم الرأي والهوى الشخصي. وجزم أبو نعمة أنه خلال عمله لم ينقل معلومة مشكوك في صحتها، أو محرّفة، أو مغرّصة، أو محرّضة، إذ كان حريصاً على الإشارة الواضحة إلى المصدر، وإيراد تقييمه لذلك المصدر. وكانت المعلومات التي تضمنتها تقاريرهم ومراسلاتهم تتوافر لهم بالطرق الأخلاقية المشروعة. لم يجدوا أنفسهم مجبرين لتجنيد مخبرين أو عملاء ولم يسترقوا السمع، ولم يسمحوا لأنفسهم بالاطلاع على ما لا يجوز لهم الاطلاع عليه، ولم يلجأوا إلى إنفاق مال لشراء معلومات أو لاستدراج أحد لحديث لينقلوه عنه من دون علمه. وأكد الدبلوماسي السابق إنهم كانوا يصدّون بشدة من كان يتقدم ليعرض عليهم مثل تلك الخدمات، حتى من كان يدعي أهميتها البالغة لأمن البلد أو لأمنهم الشخصي أو لأمن بعثتهم الدبلوماسية.

ورأى الدكتور أبو نعمة أنه لا يجوز المبالغة بأهمية بالتسريبات الأميركية الأخيرة، لويكيليكس، وتصويرها على أنها نقطة تحول رئيسة في الدبلوماسية الأميركية، أو حتى الدبلوماسية العالمية من ناحية، كما لا يجوز التقليل من أهمية هذه التسريبات أيضاً من ناحية أخرى. وبالتالي، تتطلب معالجة هذا الموضوع بلورة المسائل ذات العلاقة التالية:

أكد أولاً، إنه يحق لكل دولة أن تمتلك أسراراً محفوظة، ومحمية بتشريعات القوانين التي تحول دون الكشف عنها أو نشرها أو البوح بها إلا وفق ما تجيزه قوانين تلك الدولة؛ ويتعلق حق الدول بالاحتفاظ بأية معلومة بأنشطتها المختلفة: السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية. واعتبر أبو نعمة أن منع البوح بها أو نشرها أو تداولها، هو حق سيادي لا يحق لأحد انتهاكه، ورأى بالتالي إنه من واجب الدول، وليس من حقها فقط، أن تلاحق من يعتدي على أسرارها بالقدر الذي تقتضيه قوانينها. وأشار إلى إنه لا توجد دولة في العالم إلا ولها أسرار، ولها قوانين مهمتها الحفاظ على تلك الأسرار، ولها قواعد وفترات زمنية يتم بموجبها فتح تلك الأسرار

للجمهور ولكل من يعنيه الأمر. ولاحظ أنه عادة يحدث ذلك عندما تنتهي الظروف التي أوجبت الحفاظ على السرية، وتتراوح تلك المدد بين ثلاثين وخمسين عاماً، وربما أكثر من ذلك، وربما تحفظ بعض الأسرار إلى الأبد. واعتبر أبو نعمة أنّ هناك أسراراً مشروعة وأخرى غير مشروعة، وإذا كانت حماية الأسرار المشروعة هي من حق مالکها من دون منازع، فإن حماية الأسرار غير المشروعة تصبح وسيلة مرفوضة غايتها التستر على ما قد يكون غير أخلاقي أو غير قانوني أو غير مشروع. وأضاف: "إذاً، كان من الطبيعي لدولة عظمى كالولايات المتحدة أن تحمي أسراراً تتعلق بأمنها القومي وبعلاقاتها بحلفائها أو باستراتيجياتها الاقتصادية والعلمية والعسكرية، وغير ذلك، وصحيح أن كل ذلك يتم في إطار مشروع معقول، إلا إنه ليس من حقها ولا من حق غيرها إخفاء ممارسات غير قانونية، مثل إباحة التعذيب أو التزوير أو تلفيق التهم للآخرين، بتدبير الحروب العدوانية، أو التجسس على الموظفين الرسميين أو إخفاء الحقائق لحماية مرتكبي الجرائم أو المسؤولين عن هدر مقدرات البلاد. ووفقاً لأبو نعمة، يعتبر الكشف عن هذا النوع من الأسرار غير المشروعة عملاً بطولياً، لأنه يضع حداً لخداع الشعوب، وللأضرار المحيطة بالدول والأمم، فكاشف الأسرار الذي اصطلح على تسميته بـ "قارع جرس الإنذار"، أو الـ whistleblower، يدفع الثمن في البداية، لكنه يعامل كبطل في نهاية الأمر.

أما **النقطة الثانية** التي تناولها أبو نعمة فنكمن في كون التشريعات والتسريبات الأخيرة، والتي هي عبارة عن كمية كبيرة من المراسلات الدبلوماسية، ليست هي الأولى من نوعها في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، إذ لا بد من التذكير بأوراق البنتاغون The Pentagon Papers التي سرّبها دانيال إلسبرغ Daniel Ellsberg سنة ١٩٧١، بغية كشف خفايا الفضاءات التي ارتكبتها القوات الأمريكية، خلال حرب فيتنام. وقد كان دانيال إلسبرغ، يعمل محطلاً عسكرياً عندما قرّر نسخ عدة صور عن تقرير بالغ السرية أعدته وزارة الدفاع الأمريكية عن حرب فيتنام وسرّب منه نسخة إلى صحيفة النيويورك تايمز في حينه. وسرد كيف أدى إفضاء خفايا أوراق البنتاغون إلى هزة سياسية كبرى في حينه في أوساط السياسة الأمريكية، وكيف تم فضح ممارسات مذهلة منها كون إدارة الرئيس جونسون، كانت تكذب باستمرار ليس على الشعب الأمريكي فحسب، بل على مجلس الشيوخ، والكونغرس، في رسائل لها علاقة وثيقة ومهمة بصميم الأمن القومي الأمريكي. وأخبر أبو نعمة كيف عمدت إدارة جونسون، كما كشفت الأوراق السرية. إلى إخفاء حقيقة مهمة وهي أنها كانت تعلم أن حرب فيتنام خاسرة، وأن من شأن إطلالتها أن تؤدي إلى مزيد من الخسائر في أرواح الجنود الأمريكيين؛ ومع ذلك، كذبت إدارة جونسون من أجل إطالة أمد الحرب بلا طائل، وانتهت تلك الحرب بها إلى هزيمة مدوية. وأكد السفير السابق أن الأسرار الخطيرة والغامضة المدوية التي انكشفت بغير إرادة الرئيس بوش الابن بعد حروب أميركا الفاشلة على الإرهاب وعلى أفغانستان والعراق، لا تقل أهمية عن

الأسرار التي كشفتها أوراق البنتاغون. ووصف كيف ذهل العالم عندما أماطت الصور اللثام عن الفضائح التي كانت ترتكب في سجن أبو غريب، بالقرب من بغداد، بحق موقوفين ومساجين. بغير أصول قضائية. من العراقيين من قبل جنود الاحتلال من الأميركيين والبريطانيين، والذين كان جنود الاحتلال يتلهمون بهم، ويسومونهم أشكالا من الإهانة والإذلال لغايات التسلية والشوفينية العنصرية، بما لا يجيزه قانون ولا خلق ولا عرف. وقارن بما انكشف عن السجون السرية وشحن المشبوهين للتعذيب في سجون أوروبا الشرقية والشرق الأوسط، أو التعذيب في معسكر غوانتانامو Guantánamo في كوبا ومعتقل باغرام Bagram في أفغانستان، وحتى في سجون أميركا نفسها، عندما أجاز مستشارون قانونيون في إدارة بوش استخدام ما أسموه بـ "القوة الخفيفة"، وهو التعبير الذي يعني التعذيب، من أجل الحصول على المعلومات في التحقيق، واعترف الرئيس بوش متباهياً في مذكراته، بإجازة هذا النوع من استخدام القوة، أي التعذيب. ولفت أبو نعمة إلى إنه لا بد في هذا الصدد من الإشارة إلى أشرطة الرئيس نيكسون والتي تضمنت كل محادثاته خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٧١ حتى سنة ١٩٧٣، والتي فرض القانون الكشف عن محتواها على الرغم من سريتها المرحجة كجزء من محاكمات ووترغيت. وخلص الدكتور أبو نعمة من هذا العرض إلى أن تسريبات ويكيليكس ليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة، إذ إنها هي جزء من مسلسل مستمر، والقضية تتكرر وتتشابه.

وانتقل إلى **النقطة الثالثة**، فتطرق إلى أن ما تم نشره حتى الآن من مجموع الربع مليون وثيقة التي وصلت إلى جوليان أسانج، صاحب موقع ويكيليكس، والذي قام بدوره بإتاحة بعضها لكبريات الصحف البريطانية والأميركية والألمانية. فرأى أن ما تم نشره من هذه الوثائق تناول المراسلات بين السفارة الأميركية في الدول المستقبلة من جهة، وبين وزارة الخارجية الأميركية وبالعكس؛ وكشفت المراسلات التي تم نشرها وتداولها مضمون لقاءات تمت بين مسؤولين أميركيين أو دبلوماسيين أميركيين مع قادة الدول أو المسؤولين في الدول المعتمدة لديها. ورأى أبو نعمة أن المضمون قد تسبب بحرج كبير للجانبين. وتفاوت مدى الحرج بقدر خطورة المعلومات التي تم كشفها، وبقدر تناقضها مع التصريحات الرسمية أو المواقف المعلنة للمسؤولين ذاتهم، والتي غالباً ما ادعت نقيض الحقيقة الماثلة في السجلات الرسمية السرية. والجدير بالذكر أن هذا العرف متبع من قبل كل دول العالم؛ إذ إن جميع السفراء و المبعوثين الدبلوماسيين، يبعثون بتقارير سرية لوزراء خارجيتهم ولدولهم، عن الدول حيث هم معتمدين لديها. وفي مثل هذه الحالات لا يعتبر الكلام المنقول ملزماً لمن نقل عنه حتى عندما يكون دقيقاً وصحياً مشيراً إلى اطلاع على برقيات نشرها موقع ويكيليكس وتنتقل بعض التصريحات ومواقف بعض الزعماء العرب بصدد إيران وغزة وغير ذلك. ولم يشكك أبو نعمة بكون تلك البرقيات قد سببت حرجاً، ولكن في غياب المحاضر الرسمية الموقع عليها بالأحرف الأولى من قبل الطرفين

المتحدثين، والتي تلخص ما تضمنته المحادثات المثبتة وقائعها في تلك المحاضر، فإن باستطاعة أي طرف أن ينفي ما نقل على لسانه، أو يدعي أنه لم يفهم قصده، أو يدعي أن الحديث أُخرج عن سياقه.

ثم انتقل الدكتور أبو نعمة منوهاً إلى ملاحظته الأساسية، في ما يتعلق بالجانب الخارجي للموضوع الذي كُلف بالتحدث عنه في هذه الندوة، متسائلاً: "هل من انتقاص للدبلوماسية؟"، شارحاً بأنه لم يكن بالمستطاع الحديث عن هذا الموضوع من دون هذا السرد المطول، ذلك أن التسريبات ليست موضوعاً منفصلاً عن مجمل الخلفية السياسية الأميركية، وليست مستقلة عن الجانب الأشمل لخلفية السياسة الأميركية الدولية. وأتى جوابه عن السؤال الذي طرحه بالإيجاب، أي نعم، هناك انتقاص للدبلوماسية، إذ أحدثت التسريبات أضراراً كبيرة بالسياسة الأميركية وبالعامل الدبلوماسي بشكل خاص. وقبل أن يذكر بعض الأسباب المحددة، أراد لتأكيد ما سبق وأشار إليه، ألا وهو أن المشكلة ليست بالتسريبات أو في كشف الأسرار فحسب، بل المشكلة في المادة التي كشفت وأسلوب التعامل الأميركي مع النظراء والحلفاء، إذ تكمن المشكلة في الأسرار لا في كشفها. وأكد أبو نعمة إن كشف سر عسكري في بلد ما، يحدث بالتأكيد ضرراً كبيراً، ولكنه لا يشكل حرجاً، وقد تنجم عنه محاسبة أو معاقبة نتيجة الإهمال أو اللامسؤولية، ولكنه لا يكشف ممارسة غير أخلاقية، كما هو الحال بالنسبة إلى تسريبات ويكيليكس التي نحن بصددھا؛ وكرّر سؤاله "هل من انتقاص للدبلوماسية؟" معتبراً إيها سؤالاً كبيراً. ولفت إلى إنه إذا تم حصر الإجابة في إطار التسريبات، فمن شأن ذلك أن يؤدي إلى افتراض خاطئ، وهو أن الدبلوماسية الأميركية، كانت كاملة قبل التسريبات، في حين أن الدبلوماسية الأميركية في الواقع، ووفقاً لأبو نعمة، وفي ما يتعلق بمنطقتنا بالذات، هي دبلوماسية ناقصة وفاشلة من أساسها، وهي مسؤولة إلى حد كبير عن حالة التردي، وعدم الاستقرار في بلادنا منذ منتصف القرن الماضي، أي بعد حرب السويس تحديداً. وهي مسؤولة عن تقاوم الصراع العربي - الإسرائيلي، وعن فشل كل المحاولات التي جرت للتوصل إلى تسوية معقولة لهذا الصراع. واعتبرها أبو نعمة أنها المسؤولة أيضاً عن الانفجارات الثورية، وذلك ليس بالأمر السيئ طبعاً كونها ثورات لتصحيح بعض أضرار التدخل الأميركي التي تشهدها المنطقة العربية. وتابع قائلاً إن الدبلوماسية الأميركية هي التي دمرت العراق، وهي التي دمرت أفغانستان من قبل، وهي التي تسببت بالإرهاب وبوجود الإرهابيين أصلاً، وهي التي شلّت عمل الأمم المتحدة وعطلته وجمدت ميثاقها وأطلقت المعايير المزدوجة ونزعت الصفة الأخلاقية والقانونية عن التعامل الدولي؛ ليختم أبو نعمة ملاحظته بتساؤل عما بقي من تسريبات ويكيليكس لتتقصه من الناقص أصلاً؟"

واختتم الدكتور أبو نعمة مداخلته بثلاث نقاط قائلاً: "أولاً، فمن كان يجلس سابقاً مع مسؤول أميركي أو مع دبلوماسي أميركي معه مطمئناً إلى السرية، سيكون أكثر حذراً وأشد تحفظاً. وتساءل ثانياً، إن كان سينحصر التحفظ في اللفظ أو البوح، أم سيشمل الموقف؟ إذ ورأى أنه سيشمل على الأغلب الموقف إلى حد كبير. ولفت إلى إن أمور المنطقة تغيرت برمتها تغيراً جذرياً قبل أن يتاح لتسريبات ويكيليكس أن تحدث أي مفعول ملموس. واعتبر إنه قد تجاوزها الزمن مع ما طرأ على المنطقة. ولاحظ ثالثاً، وأخيراً، إن التسريبات زعزت أي ثقة بمجمل الأسلوب الأميركي في التعامل، إذ ساد الاعتقاد بأن التسريبات لم تكن بريئة. واعترف إن الاعتقاد بنظرية المؤامرة، رافقت الكثيرين-من دون أن يعني ذلك أنها تحظى بتأييده الشخصي- واختتم بكلمة أخيرة إذ قال "إن التسريبات أضافت المزيد من الارتباك لما هو مرتبك أصلاً، وزعزت الثقة بما هو ليس موثقاً أصلاً."

### . الدكتور رياض طيارة

أعطى رئيس الجلسة، الكلام للدكتور موسى بريزات، وهو الدبلوماسي السابق والباحث الأكاديمي، الحاصل على دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة نيويورك. وكان قد تبوأ في الحكومة الأردنية مناصب عدة كرئيس وحدة الدراسات الاستراتيجية في الديوان الملكي الهاشمي؛ وكعضو الوفد الأردني لمبادرات السلام في الشرق الأوسط. وكان سفيراً لبلده لدى تركيا. وعمل مندوباً دائماً للمقر الأوروبي للأمم المتحدة ولدى منظمة العمل الدولية، ومنظمة التجارة العالمية. وإلى جانب عمله الدبلوماسي، كان محاضراً وأستاذاً زائراً في معاهد أبحاث عالمية، نشرت له مقالات وأبحاث وصدر له كتابان عن العلاقات الأردنية - الفلسطينية، ودور الأردن الإقليمي.

### . ملخص ورقة الدكتور موسى بريزات

قدم بريزات ورقته تحت عنوان "الدبلوماسية في الميدان"، متجهاً نحو تعريف الدبلوماسية وصفاتها، انطلاقاً من السؤال: "ما هي الدبلوماسية؟ فأكد إن الجميع لا بد ملم بأفكار عن الدبلوماسية، ويعرف الكثير عن صفات الدبلوماسية وصفات الدبلوماسي. ووفقاً لبريزات، قد يكون الدبلوماسي الرجل الذي حين يقترب منك تشعر أنه يبتعد عنك، أو ذلك الذي يعطيك رحلة إلى السعير أو إلى جهنم، ولكنك تشعر بالسعادة وتنتظر هذه الرحلة بشوق، بكلمات أخر، إنه الرجل الذي يزوق الأشياء وينمقها، أو أن الدبلوماسية كما قال أحد السفراء البريطانيين، السير بوتون Sir Charles William Rouse-Boughton، عندما سأله عن معنى الدبلوماسي إذ قال "إنه الشخص الطيب الأمين الذي يرسل إلى الخارج للكذب لصالح بلده." واستنتج السفير

السابق الدكتور موسى بريزات أن هناك صورة عن الدبلوماسية انها لا تنطق بالحقيقة، وصدقيتها دوماً على المحك. وأشار بريزات إلى رغبته بالمرور سريعاً على تعريف الدبلوماسية وآلياتها ووسائلها، والمهام الدبلوماسية، والعوامل التي تؤثر فيها وخصائص الدبلوماسي أو الدبلوماسية، وطبيعتها. وقبل أن يتحدث عن الدبلوماسي في الميدان، ارتأى بريزات ضرورة تناول العوامل التي تشكل مهمة الدبلوماسي. واعتبر الدبلوماسي أنه هذا الشخص الذي يشبه قائد الطائرة، يقودها أنى تكن الظروف الجوية، وقد يطلب منه أن يقاتل، وقد يطلب منه أن يطير كطيار استكشافي، قد يطلب منه أن يعاين الطقس لوحده تقريباً، وبينه وبين ضميره أحياناً. ويقاوم الطيار في جميع الظروف الجوية وفي جميع الأحوال، ولمختلف الأهداف. وحسم بريزات به هناك تعريفات كثيرة للدبلوماسية قد أشار إلى خصائصها، إلا إنه أقر بأن أهم تعريف للدبلوماسية من وجهة نظره هو: "القدرة على القراءة الصحيحة للبلد الذي أنت منتدب فيه، ثم قراءة أهداف بلدك، ومحاولة تقريب أو إيجاد نقاط توافق بين أهداف بلدك أو نوايا بلدك وقدراته، وبين نوايا البلد المضيف الذي أنت فيه إضافة إلى قدراته وإمكاناته. وكدبلوماسي، لخص بريزات هذه العملية بأن مهمة الدبلوماسي بكونها عمل من أجل مصلحة الدولة الوطنية، أي مصلحة تدخل قضايا كبيرة في تحديدها وتعريفها وأولوياتها، وكيف تصاغ وكيف توجه.

وأضاف بريزات أن جزءاً من الدبلوماسية جيد، وهي الدبلوماسية العامة أي الـ public diplomacy، أي المتعلقة بالدبلوماسية المتعددة الأطراف، إذ هنالك مؤتمرات تعقد وتصاغ لها اتفاقيات ينجم عنها خير للإنسانية والبشرية كممثل معاهدات التجارة العالمية؛ ومفاوضات منع انتشار الأسلحة، وأسلحة الدمار الشامل؛ ومعاهدات تتعلق بالتنمية الاقتصادية، والبيئة وحل النزاعات وغيرها من القضايا. واعتبر بريزات أن مفاوضات السلام بين جميع الدول، أمراً إيجابياً في جزء من الدبلوماسية، موضحاً إن عمل السفير كله أو الدبلوماسي. وهو جوهرى. لا يقتصر على مراقبة البلد الموجود فيه. وذكر إنه مطلوب من الدبلوماسي أن يقيم ويوزن بدقة ما يدور في البلد، ويعرف قدر ما يستطيع ما يجري فيه وبوسائل معقولة. وشرح أن الدبلوماسية محكومة بقواعد القانون الدولي تمنع التدخل بالشؤون الداخلية، وتمنع تجنيد الجواسيس أو التجسس على الدول الأخرى، مضيفاً إن للدبلوماسية وسائل خاصة بها. وينظر بريزات إلى الدبلوماسية على إنها حيز بين الحرب وبين التطبيق الكامل للقانون، كما لو كنا في دولة ذات سيادة. وأضاف إنه لو كان هناك نظام عالمي قادر على تطبيق القانون كما يطبق في أي بلد، ولو كانت هناك سلطة عالمية من جهة، أو في حالة حرب كاملة، لا يعود هناك أي مجال للدبلوماسية، فالدبلوماسية بحسب الدبلوماسي السابق، "هي هذا الحيز بين مجتمع لا يستبعد منه احتمال الحرب في أي فرصة، ومن جهة ثانية، هو قانون دولي غير مكتمل."

وشدد بريزات على تأثير العلاقات الدولية بالدبلوماسية إذ رأى إن الدبلوماسية يتأثر بطبيعة العلاقات الدولية. وتأخذ العلاقات الدبلوماسية في رأيه ثلاثة أشكال: "إما علاقات صراع، أو علاقات تعاون، أو علاقات تنافس." وشرح إن الدبلوماسية عندما يكون في بلد ما، قد تكون علاقته بالدولة المعنية علاقة صراع، كما كان أيام الاتحاد السوفياتي، أو كما هو الآن بين إيران وأميركا، وهذه الكلمات لا تؤخذ بشكل مطلق، لأن ما قد يظهر في علاقات صراع، قد يكون في جوهره بعض أوجه التعاون. وبيّن السفير السابق أن استراتيجياً هناك إشكاليات اليوم تعترى علاقة الولايات المتحدة بإيران، إضافة إلى أشكال من التعاون غير المباشر نتيجة تقاطع المصالح الأميركية - الإيرانية، أو قد تكون العلاقة تنافسية. وتابع أنه في جميع العلاقات الدولية، هناك جانب تنافسي، حتى بين الدول الصديقة. ويظن بريزات أن العلاقات التعاونية تكون بين دول صديقة كبريطانيا والولايات المتحدة إلى حد ما. وهما أقرب دولتين ذات سيادة تربطهما علاقة خاصة جداً.

وانتقل إلى الدبلوماسية عندما يتواجد في بلد ويريد أن يكون في الميدان، ولفت إلى إنه محكوم بظروف موضوعية وبظروف ذاتية. ورأى إنه من المهم جداً أن يعرف حجم بلده، وطبيعة النظام السياسي فيه والعلاقة بين بلده والبلد المعني. ورأى أن العلاقة الأميركية مع الاتحاد السوفياتي في ظل الحرب الباردة كانت مختلفة، مستعيداً أقوال بليغتون James H. Billington، [ولد سنة ١٩٢٩، وهو مؤرخ أكاديمي ومفكر سياسي أميركي درّس في جامعتي هارفارد Harvard وبرنستون Princeton في الولايات المتحدة]. فقد كان لفت بيلغتون إلى إنه أثناء الحرب الباردة كان مطلوباً من الدبلوماسية الأميركية أن يجيد دبلوماسيتها اللغة الروسية، أو أن ينعموا بقدرة لغوية عالية، كما يقول، لأن هناك لغات أخرى في الجمهورية الروسية غير اللغة الروسية، وأن يكون لديهم حماس للنقاش الأيديولوجي والسياسي، وكان مطلوب منهم أن يكونوا متمسكين بالقيم الأميركية وهي قيم الشعب الأميركي. وفسّر بريزات تلك المقولة بأن ذلك يعني أن يكون الدبلوماسي قادراً على مناقشة الروس والقيادة السوفياتية بالماركسية واللينينية والشوعية والرأسمالية، بمعنى أن هذا الدبلوماسي يؤثر ويحب الهامبرغر ويحب الولايتس-إند وممارسة الرياضة، أي يجب أن يؤثر بسلوكياته في المجتمع الذي يعيش فيه. وأشار بريزات أنه الآن لم يعد ذلك ضرورياً، باستثناء اللغة. وقد طرح السفير السابق هذا المثال لإعطاء فكرة عن الدبلوماسية إذ يلتحق بمقر عمله يعمل، وعن الظروف التي يعمل فيها. وذكر أيضاً إنه هناك أمور كثيرة يود التحدث عنها، مثل شخصية الدبلوماسي وكيف يعمل وكيف يؤثر وكيف يقيم علاقات، إذ إنه مطلوب من الدبلوماسي أن يدخل في المجتمع المحلي، وأن يكون لديه القدرة على الدخول والاقتراب، من دون أن يدخل في تفاصيل المجتمع الذي يعيش فيه، حتى لا يدخل في تناقضات.

ويتابع بريزات أن جميع هذه العوامل، جعلته يفكر أنه عندما يتدرب الدبلوماسي تطأ قدماه بلداً ما، وفي ظل الظروف الموضوعية التي ذكرها، يكون لديه فكرتان أساسيتان: أما **الفكرة الأولى** فهي الصورة التي كوّنها عن البلد، وتكمن **الفكرة الثانية** في مصلحة بلده. ويتعامل الدبلوماسي مع المصلحة العامة كونها توجيهات و تعليمات، وعليه أن يبدأ بفهم هذا البلد بحسب العلاقة بينه وبين بلده (وإن كان لا يجوز التعميم وفقاً لبريزات). إذا كانت العلاقة علاقة صراع، لا بد أن يبحث عندها الدبلوماسي، عن نقاط الضعف في البلد الذي يقيم فيه، وسيحاول أن يقيم جميع العلاقات الممكنة، مع القوى كافة بما فيها القوى المعارضة؛ لأنه يريد أن يقيم اتصالات تستطيع أن توصله إلى الأمور الممنوعة، ولكن بطرق (على الأقل) لا تثير له المشاكل والمتاعب والاعتراضات. وهو عليه أن يكون حذراً بنشاطه وبتجميعه المعطيات كلها من هذا المنطلق وفي هذا الشكل؛ ويتابع بريزات إن على الدبلوماسي غداة التحاقه بمركز عمله، أي البلد الذي انتدب إليه، أن يكون بالطبع مجاملاً، ويبتعد عن التدخل الظاهر بالشؤون الداخلية. إلا إنه في حال الدبلوماسية "الصراعية" أو في حالة الصراع بين دولتين، لا بد أن تكون مهام السفير أو الدبلوماسي مختلفة من ناحية النوعية، ومختلفة عن مهام الدبلوماسي الذي يقوم بمهامه في بلد تربطه علاقات حميمة أو تعاونية ببلده أو حتى على علاقة تنافس معه؛ وفي هذا السياق أشار إلى العلاقة الفرنسية - البريطانية التي تتطوي في كثير من المجالات على تنافس على النفوذ في السلطات التجارية على الأسواق، وعلى المواد الأولية.

وتابع بريزات شارحاً مهام الدبلوماسي وطبيعة عمله بالقول إنه يشمل العمل الميداني للدبلوماسي، أو ربما الفوز بمقعد أو منصب دولي مهم، أو رئاسة مؤتمر، إذ إن هذه المسائل بجميع أشكالها جزء من العمل الدبلوماسي إذ هو في الميدان. وعرض بريزات سريعاً عمل الدبلوماسية الغربية في الشرق الأوسط، موضحاً بأنه لا يقصد منها الدقة العلمية بل هي مجرد تعبير عن انطباعات، أكثر من كونها ملاحظات شخصية، مشدداً على إن أي عمل دبلوماسي محكوم بالرؤية الإستراتيجية للدولة الأم، والتي تعتبر محكومة بمصلحة الدولة. وتتبع مصلحة الدولة بدورها من تحديد المخاطر والفرص في المحيط الدولي الدبلوماسي. وأضاف أن الدبلوماسية هي أداء السياسة الخارجية، والسياسة الخارجية هي مجموعة أمن الدولة والتعريف العملي والأكاديمي والواقعي لمصلحة الدولة الوطنية، كما هي معرضة للقوة لأنه في النهاية كل ما تريد الدولة الحصول عليه هو زيادة قوتها، أو التحوط من دولة تريد إضعافها؛ فالغرب ينظر إلى دبلوماسيته في المنطقة العربية وفي الشرق الأوسط، منطلقاً من أنه يعتبر هذه المنطقة ومواردها النفطية مجال نفوذ حيويًا، ويراها مهمة لرخائه الاقتصادي؛ إضافة إلى إيلائه عناية خاصة لدور إسرائيل ولبقائها ولاستمرار أمنها إذ يعتبرها مسألة حيوية له؛ دون أن ننسى أهمية موقع المنطقة الجغرافي. لذلك فإن الدبلوماسية الغربية تجدها تعطي



أهمية خاصة للمنطقة العربية. وكان طبيعياً أن يتضمن موقع ويكيليكس بقرينات تتحدث عن علاقات صراعية وأخرى تتناول في جزء منها علاقات تعاونية في حين يتطرق جزء آخر منها إلى علاقات تنافسية.

أما سبب ذلك فيعود إلى أن هذه الدبلوماسية هي شاملة للمنطقة، إذ يملك الغرب مصالح استراتيجية حيوية فيها. ولكن ضمن التلاعب، والذي هو جزء من عمل الدبلوماسي كمضمون، وعلى الرغم مما يبدو في الشكل الظاهري الجميل، يأتي التلاعب في الوضع الداخلي لأي بلد، ليجري التناقضات. وأشار بريزات إنه يعتقد أن من أهم أهداف تحرك ويكيليكس هو إبراز التناقض السني - الشيعي. وأضاف إنه كمراقب وإنسان عربي، ليتساءل لصالح أية جهة يتم إبراز هذه إبراز التناقضات، سواء الإثنية أو غير الإثنية، الدينية أو غير الدينية؟ واعتبر أن ذلك جزء من هذه الإشكالية. واستعاد بريزات أيام الستينيات عندما كانت تعتبر السياسة الغربية القوى اليسارية والقومية هي العدو، لذلك كانت تحاول اختراقه. في حين أن اليوم بات التركيز على القوى الإسلامية. وفي محاولة منه للاختصار، أشار بريزات إلى الدبلوماسية العربية، واعتبر إن ما ذكره هو ملاحظات بشكل عام عما قيل بشأن إيران وويكيليكس.

بعدها، تناول بريزات الدبلوماسية العربية وإشكالياتها كما تطرق إلى القيمة المعرفية التاريخية للدبلوماسية بشكل عام قائلاً: "الدبلوماسية هي خدمة المصلحة الوطنية." واعتبر إن إشكالية النظام العربي تكمن في كون المصلحة لا تقتصر على المصلحة الوطنية، وإنما هي مصلحة نظام؛ ما يعني أن مصلحة النظام، هي المصلحة الوطنية. من هنا رأى بريزات إن معظم السياسات والدبلوماسية العربية، موجهة لخدمة الأنظمة. وأشار إلى إن هذه هي الإشكالية في تعريف المصلحة الوطنية، وتفوق أهمية مقارنة بإشكالية الدبلوماسية.

أما عن العمل الذي يقوم به الدبلوماسي العربي، فقال بريزات مع التأكيد أنه يتكلم كأكاديمي وكدبلوماسي ممارس، إن الدبلوماسي العربي، لا يعاني من عجز في الدبلوماسية، وإنما العجز يكمن في تعريف المصلحة الوطنية. وليست الأنظمة وحدها هي المسؤولة عن تعريفه المصلحة الوطنية، بل الجمهور والمفكرين والنخب أيضاً. وخاطب الحضور قائلاً إن مساهمتهم في تعريف المصلحة الوطنية كانت جزئية، أو إنهم لم يقوموا بدورهم في هذا التعريف. أما الدبلوماسي فيقوم بمهامه منفاً تعريف المصلحة الوطنية. واعتبر بريزات أنه من المفروض أن تساهم النخب العربية، والمجتمع، والشعوب تساهم جميعاً معاً، في تعريف المصلحة الوطنية وتحديدتها، كي يستطيع الدبلوماسي أن يقوم بدوره. إذ إن الدبلوماسي لا يستطيع كفرد وشخص يقوم بتنفيذ المصلحة الوطنية، أن ينوب عن الشعوب وعن المثقفين، وعن قوى المجتمع، حتى يقوم بأمر يرضي الجمهور والرأي العام.

وشرح بريزات إن النظام العربي، نظام قائم على توازن القوى، وعلاقاته هي أيضاً علاقات صراع. وهذا الواقع، جعل من الدبلوماسية العربية عاجزة عن القيام بدورها بمستوى الدبلوماسية الأخرى. فالدبلوماسي مكبل بتناقضات الدول العربية، ويتناقضات الشعوب العربية، كما إن علاقته بالنظام الدولي معروفة؛ إذ إن النظام العربي نشأ ضمن علاقة مأسورة للنظام الدولي. وأضاف إن الأجندة الدولية باتت ضخمة، ومن الصعب على من الدبلوماسية العربية كلها أن تواجهها.

وتابع متحدثاً عن متابعته كفلسطيني الموضوع الفلسطيني، وعبر عن راحة ضميره إزاء ما قام به بشكل عام، إذ اعتبر أنّ الدولة التي كان يمثلها (الأردن) قدّمت خدمات كبيرة للشعب الفلسطيني اقتصادياً ومالياً. وإن كانت دائماً القضية الفلسطينية ورقة سياسية في إطار التنافس العربي. العربي في المحافل الدولية.

أما بالنسبة إلى القيمة التاريخية والمعرفية للدبلوماسية فأعرب عن اعتقاده بأن هناك رأياً سائداً اليوم يقول بأن الدبلوماسية على وشك الاندثار، وأن الدولة القومية على وشك الانهيار، وأن العالم على وشك أن يصبح قرية، وأن التناقض بين المصلحة الوطنية والمصلحة العالمية المشتركة على وشك التبدد، وبالتالي قد تنتهي الصراعات وتنتهي الدبلوماسية الصراعية، لتتحقق دبلوماسية تعاونية وتحل مكان الدبلوماسية السائدة.

واختتم بريزات عرض ورقته بسؤال رئيسي هو: "هل الدبلوماسية أداة للتعاون، وأداة إيجابية لمنع الحرب أو ممارسة القوة كما يقول كسينجر؟ أو هي أداة للتلاعب بظروف الدول وممارسة القوة أو النفوذ؟" مختتماً إنه يعتقد أن كلا الأمرين موجود في الدبلوماسية.

#### . رئيس الجلسة: الدكتور رياض طبارة

قدم رئيس الجلسة الدكتور طبارة تعريفاً بالدكتور هشام القروي الباحث والصحفي والخبير في علاقات الولايات المتحدة بالشرق الأوسط، قبل أن يعطيه الكلام لعرض ورقته.

#### . ملخص ورقة الدكتور هشام القروي<sup>٣٧</sup>

<sup>٣٧</sup> باحث وخبير في علاقات الولايات المتحدة بالشرق الأوسط. يتابع السياسة العربية والدولية بالتحليل والتعليق منذ ربع قرن في الصحف والمجلات. نشر مئات المقالات وعداداً من الأبحاث بالعربية والفرنسية والإنكليزية في الدوريات المتخصصة في أوروبا والولايات المتحدة والعالم العربي. صدرت له منذ الثمانينيات مؤلفات عدة عن العلاقات الدولية، والأوضاع السياسية والاجتماعية في الشرق الأوسط. وهو خريج جامعة السوربون في باريس وحائز شهادتي الأستاذية في العربية والإنكليزية والماجستير في دراسات الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط، ودكتوراه في علم الاجتماع. من مؤلفاته: التوازن الدولي من الحرب الباردة إلى الانفراج (تونس، ١٩٨٥)؛ النسر والحدود: مقدمات في نقد الواقع السياسي العربي (تونس، ١٩٨٩)؛ ما بعد صدام في العراق (باريس، ٢٠٠٥)؛ المملكة السعودية إلى أين؟ (باريس، ٢٠٠٦)؛ المسلمون: أكابوس أم قوة في أوروبا؟ (باريس، ٢٠١١)؛ الشرق

استهل القروي عرض ورقته وعنوانها "الدبلوماسية في مواجهة ثورة "مجتمع الشفافية" و"مجتمع الخطر" : ويكيليكس تداعيات دولية وإقليمية"، بمقاربة في علم الاجتماع منذ ظهور تسريبات البرقيات الدبلوماسية diplomatic cables على موقع ويكيليكس. وقال إنه لم يكن من الممكن أن تقع تسريبات ويكيليكس في نظام لم يتخذ من مبدأ الشفافية شعاراً وعنواناً لسلوكه؛ إذ إنه حدث هذا في بلدان ديمقراطية. ومع ذلك، فقد اتسمت ردود الفعل الحكومية بالتخويف من المخاطر، ومقايسة أمن المواطن والمجتمع بثمن باهظ ألا وهو التضحية بالشفافية. ولفت إلى إن هذا المنطق كان يعني وضع المجتمعات أمام مشكلة مغلوبة، تتمثل في التخبير، بين الحفاظ على الأمن أو الحفاظ على الشفافية. بيد أن الأحداث التي تسارعت في المنطقة العربية، مثيرة الزوابع في الأنظمة الأوتوقراطية، مثلت تفنيداً لزعمهم أن الأمن لا يزال ممكناً من دون الشفافية. ولأن هذه التسريبات، تمس العلاقات الدولية والدبلوماسية، فإن الشفافية والخطر لا يهمان المجتمعات المحلية فحسب، وإنما يطالان الأنظمة الإقليمية ونظام العالم الذي يسود المجتمع الدولي. ثم بدأ القروي بتحديد المصطلحات بمصطلح **مجتمع الخطر**؛ مشيراً إلى المفهوم كما نشره ثيودوريك بيك Theodoric Beck عالم الاجتماع الألماني، بالنسبة إلى ما يميز عصرنا من انتقال من المجتمع الطبقي الصناعي إلى مجتمع الخطر، وهي مرحلة تكون فيها الأخطار مرئية، كما هو الحال مثلاً بالنسبة إلى تدمير البيئة، والتلوث في الطبيعة، وفي الأغذية، وفي أدوات الحياة اليومية؛ فضلاً على الأخطار التي تحيط بالحياة الاجتماعية، وتؤثر على حياة الفرد والعائلة.

**ثم تحدّث القروي عن مجتمع الشفافية؛** إذ ذكر إنه في شوارع المدن الكبرى والمؤسسات العامة والخاصة من بنوك وشركات، وفي الأماكن العامة، نعيش تحت الرقابة الدائمة، رقابة العين الباردة. كاميرات الفيديو والأقمار الصناعية" إذ لم يعد وفقاً للقروي، حصر قواعد المعطيات التي تجمع المعلومات عن حياتنا. ولكن في الوقت نفسه، تتكاثر النداءات والمساعي من أجل تمكين المواطن والشركات من وسائل الحماية التكنولوجية الحديثة، والقوانين التي تجعل بإمكاننا محاسبة المسؤولين ومحاسبة الحكومات؛ وهذا يعني أن الشفافية تسير في الاتجاهين، وأن التكنولوجيا كما يعتقد العديد من المفكرين الآن، ستكون العنصر الأساسي في الدفاع عن الحريات في المستقبل. أي، أنه لا مهرب من الشفافية. أما الثورة التي قصدها القروي هنا، فهي ثورة الإنترنت، إذ أقرّ بأن أي مجهود لاستكشاف مفهوم مجتمع الشفافية، ينبغي أن ينطلق من الاعتراف بأن الإنترنت هو أعظم ثورة في كل العصور، إذ ضاعف بوضوح سرعة خطوات التغيير بشكل لا سابق له، فجعلنا نواجه المستقبل. واختار القروي ألا يلجأ هو إلى تعريف الدبلوماسية بحضور زملاء دبلوماسيين، ولكنه

اكتفى بالقول إنها قد سارت طويلاً على مسارٍ هادئٍ وتقليدي يخلو من المراجعات الراديكالية، وها هي اليوم تجد نفسها مضطرة، ونظراً للثورة في وسائل الاتصال، وما أحدثته من تغيرات عميقة في المجتمعات ولدى النخب، إلى التأقلم مع المقتضيات الجديدة. بات لزاماً على الدبلوماسية اليوم أن تفهم أن العصر الذي نعيشه، يخضع لعنصرين لم يكن لهما أبداً هذا الحضور والزخم في السابق، وهما الشفافية والخطر. وأكد القروي أن الدبلوماسية والشفافية كالماء والنار، فلو كان مطلوباً من البعثات الدبلوماسية أن تكون شفافة، لما فرضت الحصانة على الدبلوماسيين ولا سيما أن هناك قوانين تحميهم وتحافظ على سرية اتصالاتهم. وهذا بحد ذاته يجعل تسريبات ويكيليكس الخاصة بالبرقيات الدبلوماسية ضربة لا سابقة لها بهذا الحجم، قد ينتج منها عواقب تغير طبيعة العمل الدبلوماسي. ولكن ما من شك أن هذه الضربة موجهة للدبلوماسية الأميركية تحديداً؛ إذ إن هذه الأخيرة محمية في الداخل ومحصنة في الخارج بقدر ما تسمح به القوانين والأعراف، كما إنه في المقابل، توحى الأحداث التي وقعت في تونس ومصر وليبيا الآن والجزائر واليمن والأردن، بأن الوقت قد حان للحساب، وليس هذا بدافع من ويكيليكس وحده، ولكن ويكيليكس والشبكات الاجتماعية والإنترنت عامة، ساهمت كلها فيها كما سيثبته لاحقاً.

بعدها انتقل القروي، إلى موضوع "الدبلوماسية الأميركية في مواجهة الشفافية والخطر"؛ ملاحظاً إن الحكومة الأميركية قدمت نفسها منذ اليوم الأول بصفتها الضحية الأولى للتسريبات الدبلوماسية. وفي ما تحدث البعض عن كارثة دبلوماسية حقيقية، فإن الإدارة الأميركية التي كانت تعلم بوجود ذلك العدد الضخم من البرقيات لدى موقع ويكيليكس منذ بعض الوقت، لم تفعل أكثر من إخطار الكونغرس وبعض الحكومات الأجنبية المعنية، بأن الوثائق السرية ستنتشر، واكتفت وزارة الخارجية بتوجيه رسالة للسيد جولييان أسانج، مؤسس الموقع، تقول فيها إن النشر يحمل تهديداً للعمليات المضادة للإرهاب، كما يشكّل خطراً على علاقات الولايات المتحدة وحلفائها. ورأى القروي أنه لو أرادت الحكومة الأميركية، تغيير الأنظمة أو الضغط عليها لإحراجها، لما وجدت طريقة أفضل من نشر تصريحات المسؤولين العرب وموقع المسلمين، للدبلوماسيين الأميركيين، وتحليلات هؤلاء وتعليقاتهم على أقوالهم، أي بالضبط ما فعله ويكيليكس. والحال، أن إدارة أوباما وقفت مكتوفة الأيدي إذ رأت موقع ويكيليكس ينشر البرقيات الدبلوماسية السرية.

وأضاف القروي إنه يمكن من خلال قراءة هذه البرقيات أن نستنتج اتجاهات التفكير الأميركي في بعض القضايا المهمة، وشدد إنه لم يقصد بذلك التفكير الرسمي المعلن الذي يصل عبر القنوات الفضائية والراديو والصحافة، وإنما التفكير الرسمي غير المعلن، الذي يكون عادة الأساس الذي يبنى عليه السياسة قراراتهم. بيد أنه من خلال قراءته لهذه البرقيات، لم يجد القروي فيها ما يمكن اعتباره ضرراً بالدبلوماسية الأميركية أو

لمصالح الولايات المتحدة، ما عدا بعض الحرج. واورد القروي بعض الملاحظات الخاصة بالدبلوماسية الأميركية بالشرق الأوسط وهي التالية:

أولاً، تدل بعض البرقيات على احتمال أن تتعرض العلاقات بين تركيا وكل من إسرائيل وإيران والولايات المتحدة إلى مزيد من الاهتزازات، حيث أن هناك تقيماً سلبياً لسياسة تركيا الإقليمية؛ ثانياً، هناك دلائل على وجود اتجاه أميركي لإدماج العراق، ضمن المنظومة الأمنية الخليجية، وقد بدأت بتسويق صورة العراق كديمقراطية يسيطر عليها الشيعة، وهو ما يطرح إشكالاً جديداً على تنظيمات المنطقة؛

ثالثاً، تتناقض النقطة السابقة مع رؤية القيادة العراقية التي مفادها أن بعض الجيران يتوجسون نجاح العراق نجاحاً باهراً في عملية سياسية ديمقراطية، وتوافق بين تطلعات السنة والشيعة بشكل غير مسبوق، وتساءل القروي كيف يمكن لمثل هذه المخاوف أن تتوافق مع مساعي الأميركيين لإدماج العراق ضمن المنظومة الخليجية؟

رابعاً، ما ينقله السفير الأميركي كريستوفر هيل Christopher Hill في هذا السياق من بغداد، قد يؤثر سلباً على العلاقات بين العراق وجيرانه الخليجيين، ولكن ليس من الواضح أنه سيؤثر سلباً كذلك على المصالح الأميركية؛

خامساً، وتساءل القروي إن كان الكلام المنقول يعكس فعلاً تفكير المسؤولين العراقيين؟ وأجاب إنه لو كان الجواب بالإيجاب، فلا بد أن نلمس عندها انعدام الثقة بين هؤلاء المسؤولين وجيرانهم العرب، كما نلمس فيه أيضاً مدى تأثير الانتماء المذهبي الديني في السياسة؛

سادساً، إذا افترضنا أن تسريبات ويكيليكس، شكلت منعرجاً خطيراً في التاريخ الدبلوماسي عامة، والدبلوماسية الأميركية بشكل خاص؛ فقد انقسمت ردود الفعل داخل الولايات المتحدة عامة إلى ثلاثة مواقف: أولاً، اعتبر المحافظون، أن عملية ويكيليكس ليست أقل من هجوم على حقوق أمم حرة ذات سيادة بتصريف سياستها الخارجية، وقيادة دبلوماسيتها بالشكل الذي يخدم مصالح عالم أكثر أمناً. ثانياً، لم يرى الليبراليون، أي ضرر لحق بالدبلوماسية الأميركية جراء نشرها. ثالثاً، إن أفضل من جمع بين الرأيين، وبأفضل تعبير ربما، هو الكاتب الناقد الأميركي ستيفان أفترغود Steven Aftergood، مدير مشروع اتحاد العلماء الأميركيين، حين اعتبر أن ويكيليكس يمثل إجابة خلاقة لمشكلة حقيقية أصابت الولايات المتحدة وبلداناً أخرى عديدة، وهي السيطرة المفرطة على المعلومات الحكومية، على حساب السياسة العامة. ولكن أفترغود اعتبر منظمة

ويكيليكس من ضمن أعداء المجتمع المفتوح، لأنها لا تحترم - بحسب قوله - سيادة القانون ولا حقوق الأفراد.

وأكمل القروي متطرقاً " إلى ملف التأثيرات الإقليمية ليتبين له من خلال تحليل مزيد من البرقيات أن التأثيرات السلبية تمس بخاصة العلاقات الإقليمية، إذ رأها تفوق أثر البرقيات على العلاقات الثنائية بالولايات المتحدة. وأورد القروي مجموعة من الملاحظات المتعلقة على سبيل المثال بالعلاقات بين إيران والعرب:

أولاً، أوحى بعض البرقيات أن حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يدعمون بقوة الرد العسكري ضد جهود إيران النووية؛

ثانياً، تبين من خلال البرقيات أن الثقة بين إيران ودول الخليج تدهورت تماماً، إذ اعتبر زعماء الدول الخليجية أن الإيرانيين "يكذبون" عليهم وهم بدورهم بالتالي يكذبون عليهم. وتبين وجود شكوك خليجية بشأن إمكانية توصل الغرب إلى اتفاق مع إيران بالنسبة إلى الموضوع النووي إضافة إلى وجود توقعات باندلاع حرب قريباً، إن لم يكن بقرار أميركي، فبقرار إسرائيلي.

ثالثاً، اعتبار تحول إيران إلى قوة نووية بمثابة تجاوز لخطر أحمر لا يمكن السماح به، بل اعتبار ذلك خطراً وجودياً تصبح معه الحرب التقليدية على المدى القريب، على الرغم من آثارها السلبية، الخيار الأفضل؛

رابعاً، هناك أيضاً ارتياب لدى بعض الخليجيين في قدرة إسرائيل على إيقاف البرنامج النووي الإيراني؛

خامساً، يكمن اعتبار الخليجيين المفتاح الأساسي لاحتواء إيران في إحراز تقدم ملموس في ما يتعلق بحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، لذا يبدو ضرورياً العمل على كسب الرأي العام العربي في أي نزاع مع طهران؛

سادساً، في حالة اندلاع حرب، توقع ردود فعل إيرانية بإطلاق هجمات مضادة للصواريخ، التي يمكن أن تصيب أيضاً بلدان الخليج، إضافة إلى جملة من العمليات الإرهابية حول العالم؛

سابعاً، هناك ما يشير أيضاً إلى وجود حرب باردة حقيقة، ويتبين ذلك من خلال نشاط الجواسيس والعملاء، وبخاصة بين الدول العربية وإيران.

ثامناً، تسارع حركة التسلح لدى بعض الدول الخليجية تأهباً لما يمكن أن يحدث في حالة إصرار كل من إيران والدول الغربية على موقفها في ما يخص الملف النووي. وهذا كله مذكور في ويكيليكس؛

تاسعاً، لم يستبعد بعض الخليجيين احتمال توصل الولايات المتحدة إلى اتفاق مع إيران على حسابهم بالرغم من عدم ترجيحه؛

عاشراً، إذا ثبت أن إيران تحاول إنتاج أسلحة نووية، فإن دولاً أخرى في الخليج، صرّحت إنها ستضطر للقيام بالأمر نفسه، فضلاً عن السماح بوجود أسلحة نووية في الخليج كرادع للإيرانيين؛ حادي عشر، وجود دلالات قوية على توتر العلاقات بين إيران والعراق، ومنها رفض العراق لاتفاقية عام ١٩٧٥ الحدودية، وتخوف الزعماء العراقيين من التدخلات الإيرانية المتزايدة في حياتهم السياسية. وخلص القروي إلى إنه لا يوجد في هذه البرقيات ما يتجاوز الحرج بالنسبة إلى أميركا، في حين أصبح الموقف العربي مكشوفاً كله.

**المثال الثاني**، الذي ساقه في سياق التأثيرات الإقليمية فيتعلق **بالعرب وتركيا**، إذ لاحظ وجود تباعد بين الموقف التركي والموقف العربي في ما يتعلق بملف إيران النووي.

وانتقل بعدها القروي لنتناول التأثير على الأنظمة والسياسات المحلية؛ فذكر مثالين هما مصر وتونس، معلقاً بالملاحظات التالية. فأكد القروي في **ملاحظته الأولى**، أكد إنه لا يفترض أن ويكلييكس هي التي حرّكت الثورة في تونس أو في مصر، وإنما ساهمت في الكشف عن بعض الحقائق لجمهور الإنترنت، ويشمل الشباب في كلا البلدين، وفي تعزيز الاعتقاد، بغض النظر عن مدى صحته، أن الحليف الأقوى للنظام، في تونس بخاصة، أي الولايات المتحدة، يتخلى عنه، ومستعد للتخلي عنه، لكثرة الفساد المستشري؛

في حين أنه اشار في **ملاحظته الثانية**، أن من يقرأ بعض البرقيات التي كتبها السفير الأميركي السابق في تونس روبرت غودك Robert Godec، يستنتج بلا شك وجود حيرة لدى الأميركيين، بل ويأس من إمكانية إصلاح نظام بن علي، وهذا بلا شك من شأنه أن يشجع المعارضين بشكل لم يحدث سابقاً لاعتقادهم أن النظام قوي بحلفائه؛

تطرقت **الملاحظة الثالثة** إلى، توصيف السفير غوديك للحالة المتردية في تونس في آخر عهد بن علي والذي يجعل كل إنسان يدرك أن الإطاحة بالدكتاتور غدت ممكنة وقريبة، لا بل قد يكون هناك - و ما بين السطور - ضوء أخضر للعسكريين؛

وتناولت **الملاحظة الرابعة**، الدور الذي اضطلع به الإنترنت عامة والشبكات الاجتماعية وويكلييكس بخاصة، للتحضير للثورتين. وأشار القروي إلى أن المحاضرين الذين سبقوه تحدثوا عنه بشكل جيد، لذا لم يجد ضرورة أو فائدة في التأكيد عليه. إلا إنه أضاف إليه احتمال وجود تنسيق بين الشباب الثوري الديمقراطي العربي

على مستوى الشبكات الاجتماعية، وذكر ملاحظة إضافية متعلّقة بمصر، ألا وهي الاختلاف بين البرقيات المرسلّة من تونس . وهي تعني مصر. بشأن توقعات وتصورات لسيناريو الخلافة ما بعد مبارك، بينما هذا غير موجود في البرقيات الموجهة من تونس.

ونهاية، استبعد القروي عدم اطلاع الشباب على الوثائق المسرّبة، ولا سيما أن الكشف عن هذه الوثائق من موقع ويكيليكس حدث قبل أسابيع قليلة من اندلاع الثورة في تونس ومصر، ما يجعل من الصعب عدم اعتبار فرضية أن الشباب النشط على الانترنت، والذي كان طليعة الثورة، لم يطلع عليها مباشرة، ولم يجد فيها ما يشجعه.

وفي ختام ورقته استخلص القروي النتائج التالية:

أولاً، رأى أنه لا مفر من وضع نقاط استفهام بشأن كيفية نشر البرقيات، متوقّعا إجابات من الزملاء الدبلوماسيين. إذ قد تظهر هذه البرقيات السرية المكشوفة أن سرّيتها لم تكن محفوظة بشكل متوقع؛ فكيف أمكن نشرها كما ينشر أي نص عادي، مع أنها مرت بأجهزة تشفير وبرمجيات سرّية؟ هل يستطيع موقع ويكيليكس أن يفتح بهذه السهولة، نصوصاً سرّية مشفرة؟ أم أن من سرّتها أعطى مفاتيحها في الوقت نفسه، ومن يكون؟ هل هو دبلوماسي أم ضابط عادي، أم جهاز المخابرات؟

ثانياً، انتقل القروي من السؤال السابق إلى سؤال قديم في السياسة، ألا وهو: من المستفيد؟ اعتبر القروي أن هناك ثلاثة أطراف مستفيدة: موقع ويكيليكس، والولايات المتحدة والبلدان العربية، مؤكداً إن البلدان العربية غير مستفيدة بما أنها أصبحت مكشوفة. في حين حظي موقع ويكيليكس بشهرة عالمية. أما الولايات المتحدة فهي ليست متضررة إنما محرّجة فحسب؛

ثالثاً، رأى القروي إنه ليس هناك وفقاً لاستنتاجاته، دولة واحدة في الشرق الأوسط فكرت في إعادة النظر في علاقاتها مع الولايات المتحدة بناء على ما كشفته برقيات ويكيليكس الدبلوماسية. وليس هناك دولة تتهم الولايات المتحدة بصراحة أنها المسؤولة مباشرة أو غير مباشرة عن هذه التسريبات؛

رابعاً، تجاوزت الأحداث في تونس ومصر الإطار السياسي التقليدي كما تجاوزت النخب المعارضة؛ إذ إن الثورة كانت شعبية، ومن ثم لا يمكن القول إن إطلاع النخب على تلك الوثائق، هو الذي جعلها تضغط على الحكومة؛ فالنخب جاءت أصلاً بعد أن اندلعت الثورة؛



**خامساً،** أشار القروي إلى وثيقة لوزارة الدفاع الأميركية تكشف أن حكومات الصين وإسرائيل وكوريا الشمالية وروسيا وتايلاند وزمبابوي، وغيرها، منعت وصول مواطنيها إلى موقع ويكيليكس. وكون إسرائيل مذكورة في قائمة البلدان التي تمارس هذه الرقابة، يثير أسئلة عما تخفيه العديد من الوثائق غير المفحوصة بعد بشأن إسرائيل؛

**سادساً،** على المستويات المحلية، اعتبر القروي إن عامل الخوف من الخطر سيؤدي دوراً أكبر في الدفع نحو الشفافية، وبخاصة بعدما حدث في تونس ومصر، وما نراه يحدث الآن في ليبيا واليمن؛

**سابعاً،** على المستوى الإقليمي، ذكر الباحث أن عامل الشفافية، والكشف عن تسريبات، سيتفاعل مع عامل الخطر لتشكيل وعي جديد بالتحديات. فتوقع أن يشهد المستقبل القريب، ونتيجة هذا الضغط المزدوج: الشفافية والخطر، إما تسويات مذهلة لمشاكل إقليمية، ظلت إلى الآن مستعصية، وهذا ما سيشكل بحد ذاته انتصاراً للدبلوماسية بواسطة فضح الدبلوماسية، أو هروباً إلى الأمام ومحاولة التخلص من المشاكل عن طريق الحرب. إلا إنه أكد عدم قناعته في كل الأحوال بأن نشر وثائق ويكيليكس الدبلوماسية، قد عرض الأمن القومي في الولايات المتحدة للخطر، أو شكّل ضغطاً قوياً من شأنه الدفع نحو تغيير سياساتها كما هو الحال في الشرق الأوسط.

**. الدكتور رياض طيارة (رئيس الجلسة)**

فتح رئيس الجلسة الباب أمام المناقشات والأسئلة.

## **المناقشات**

**(٦)**

**١ . الدكتورة فاطمة الصمادي**

بداية، أشارت المتحدثّة إلى موضوع رد الفعل الإيراني على وثائق ويكيليكس، مستبعدة أن يكون هناك مستوى واحد من الرد. وبرأيها، يجب أن يقسم رد الفعل الإيراني إلى مستويات، إذ إن رد الفعل الإيراني لم يكذب جميع الوثائق، فقد كذب تصريحات الزعماء الخليجيين تجاه إيران. هكذا فعل أحمد نجاد وبعض المسؤولين

في وزارة الخارجية، لكن في مجلس الشورى الإيراني، هناك نواب طالبوا الدول الخليجية برد فعل لنفي هذه القضية. وأضافت إن إيران قامت بتوظيف ذكي للوثائق المتعلقة بالمعارضة الإيرانية، إذ وظفتها للدلالة على أن هذه المعارضة لها علاقات وارتباطات بالولايات المتحدة الأميركية. وأشارت المتحدثة إلى أن إيران وظفت وثيقة أخرى قبل أسابيع، تتناول تصريحات لرفسنجاني اعتبرت تهديداً للأمن القومي الإيراني، وهنا لفتت إلى إنه لا بد من إثارة مسألة أخرى، تكمن في كون معظم الوثائق المسربة هي من خارج إيران، لكن وثيقة رفسنجاني تحديداً كانت من داخل إيران، عن طريق أحد السفراء الغربيين الذين يقيمون في طهران.

وأضافت المتحدثة إنه صحيح أن تركيا كانت إحدى المصادر الأساسية للوثائق. وأضافت إنه تبين أن معظم تلك الوثائق صدر عن الخارجية الأميركية، تبعثها سفارة الولايات المتحدة في بغداد، ثم تركيا وبعدها دول أخرى.

وعبرت المتحدثة عن اختلافها مع الدكتور محبوب الزويري بشأن كون إيران لم تستطع توظيف هذه الورقة في علاقاتها مع الدول الخليجية. ولا سيما إنها أقرت إن كلاهما يعرف إيران جيداً من خلال عيشهما مدة من الزمن فيها وخبرتهما في سياستها، فأعربت عن اعتقادها أن إيران ستوظف هذه الورقة، وبدأت في توظيفها على عكس ما ورد على لسان الزويري، مشيرة إلى إن المحادثات الإيرانية - السعودية وما رشح عنها، تنبئ بذلك. واعتقدت المتحدثة أن إيران، لن تسقط في المستقبل ورقة تقدم لها أدنى خدمة خاصة في موضوعها النووي، إذ تسعى إيران منذ سنوات، إلى عقد اتفاق أمني مع دول الخليج، لذا رجّح في ختام مداخلتها أن توظف ذلك وبكل فعالية في هذا الموضوع.

## ٢. الدكتور عزمي بشارة

نوّه الدكتور بشارة بورقة الدكتور هشام، ما عدا الاستنتاج المؤامراتي، ومحاولة المطابقة بين المستفيد وبين المفيد. إذ علق بأن الجميع يعرف الآن أن هنالك ضغطاً أميركياً مستمراً على الحليف مبارك لتحسين الأوضاع، متسائلاً إن كان يعني ذلك أن التظاهرات في ميدان التحرير كانت مؤامرة أميركية، لأن الولايات المتحدة هي المستفيد؟ ونفى ذلك بالطبع، مضيفاً إن هناك ياساً أميركياً من زين العابدين بن علي، إلا إن ذلك لا يعني البتة أن تسريبات ويكيليكس فعلت ذلك. وبالمقدار نفسه تساءل إن كنا نستطيع القول، إن كل خطوة ضد زين العابدين تصب في المصلحة الأميركية.

ثانياً، انتقل بعدها بشارة إلى الإشارة إلى أن هناك حقائق، بعيداً عن التفسيرات التي تتطابق، هذا من نوع ما كان يطلق عليه فلاسفة اليونان anthropomorphism، أي محاولة أنسنة الأشياء - تجعل الأشياء

تفكر، بدلاً من أن نفكر نحن بالأشياء. وافترض أن للأسباب غايات ومقاصد، و أن الأشياء تحب وتتأمر، إلا إنه أكد على وجود علاقات سببية. واقترح في هذا السياق تحليلاً أبسط من ذلك، موضحاً إنه أولاً، إن كان هناك سياق معين نخطيء تجاهه، كأن نعاني من أزمة اقتصادية، أو من سوء إدارة، فإن أكبر مؤامرة تحل علينا هو سوء الإدارة لا كشف سوء إدارتنا. وتساءل لماذا لا يتم التركيز على ما قيل، بدلاً من التركيز على سبب كشف ما تسرب. وتابع مفترضاً إنه هناك مؤامرة وراء الكشف، متسائلاً إن كان ما قيل يسهل مثل هذه المؤامرة. وأكد أن يمكن أن يكون ما فعله الولايات المتحدة في سجن غوانتانامو سيئاً جداً، ولكن عندما تكشف ما يفعله الأميركيون، يتم طرح سؤاليين يثيران النقاش ألا وهما من كشف ولماذا؟ واعتبر بشارة أن السؤال لا يجب أن يطرح بشأن من كشف ولماذا، بل يجب أن يتناول ماذا كانوا يفعلون في غوانتانامو؟ فهناك وقائع، وهناك حقائق تحتاج إلى إثبات. وذكر إنه أثناء محادثته مع الأخ غاريث بورتر في اليوم السابق، توصلنا معاً إلى نتيجة أن السؤال ليس من كشف ولماذا، وإنما السؤال المهم هو لماذا شخص واحد اسمه برادلي مانينغ Bradley Manning كشف وحده تلك الحقائق؟ فأكد بشارة أن هذه الوثائق مرت على ثمانمئة ألف شخص، من خلال ما يسمى طريقاً افتراضية cyberway بدءاً بوزارة الخارجية وصولاً إلى البنتاباغون. وأكد أن هؤلاء الموظفون الثمانمئة يملكون القدرة للوصول إليها والاطلاع على مضمونها، ما يفقد التفسير قيمته. واعتبر أن ذلك يشكل فضيحة في الولايات المتحدة، مشيراً إلى الحقيقة التي يجب أن تكون مربوطة باليد وفقاً لكلام الدبلوماسي السابق أبو نعمة، مقارناً إياها بما حدث اليوم في العالم الرقمي digital world ويمرور الوثيقة على ثمانمئة موظف بين جندي يستطيعون جميعاً الاطلاع عليها. وشدد على أن الفضيحة الأميركية تكمن في أن واحد فقط شعر بالواجب الأخلاقي، مكرّراً السؤال الأهم بالنسب إليه ألا وهو لماذا فقط ماينغ هو من كشفها، من بين ثمانمئة شخص رأوا هذه الوثائق. وتساءل عن ماهية التفسير في هذه الحالة. ونوّه بشارة إنه لا بد من كتابة دراسة تتناول كم أن الإنسان الأميركي ممثل للأعراف والتقاليد conformist، وكم هو مصمّم على التفكير بالبيئة بعد العمل، إضافة إلى اهتماماته الأخرى، وكيف ولم يفكر أن هذه مصيبة يجب أن ينشرها باستثناء جندي واحد أعتقد رأى فيه بشارة إنه بطل. لذلك قلل المدير العام للمركز العربي من أهمية السؤال الذي طرّح ألا وهو "لماذا كشفت"، وأعرب عن لا جدوى التفسيرات المؤامراتية، مشدداً على بل السؤال العقاب الخاص بالبيروقراطية في هذه المرحلة، معتبراً إن الأمور أعقد مما نتصور. فهناك آلاف الموظفين، ومن بينهم الجندي برادلي مانينغ Bradley Manning الذي كشف الموضوع وهذا هو جوهر الموضوع. وفي ما عدا ذلك، أثنى بشارة على النماذج النظرية التي استخدمت في الورقة إذ وجدها ممتازة، مشدداً على أن هذا الاستنتاج المذكور سابقاً وحده مثير اختلاف. وخلص إلى أهمية التحليلات الواردة في ورقة القروي.

عَلَّقَ بكير على مداخلة بشارة بالتالي: وجه كلامه إلى الدكتور عزمي ليشير إلى إنه يحق لمليونين وخمسمئة ألف موظف الدخول على الوثائق عبر نظام الموجّه السري لبروتوكول شبكة الإنترنت Secret Internet Protocol Router Network SIPRnet (وهو نظام شبكات للحواسيب المتصلة في ما بينها والتي تستخدمها كل من وزارة الدفاع الأميركية ووزارة الخارجية الأميركية لنقل معلومات سرية بطريقة آمنة). وقد أنشئ هذا النظام بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠١١، لتنسيق التعاون بين المؤسسات الأميركية الأمنية الخارجية أو الدفاعية، مع ملاحظة أن معظم الوثائق التي تسربت هي إما خصوصية classified أو سرية secret ولكنها ليست أسراراً عليا top secret. وشرح بكير إن هناك وثائق أكثر أهمية، وأكثر خصوصية، لا تكون على هذا الفضاء المتاح. واعترف إنه يريد استغلال هذه الملاحظات ليقدم تعليقاً آخر، وهو إنه لاحظ خلال الجلسات دائماً، ولدى ضرب مثالاً في التسريبات المهمة خلال جلسات الندوة، غالباً ماورد على لسان المتحدثين إن هذه التسريبات ذات طابع عسكري أو تتعلق بالبنتاغون، أولها علاقة بالأعمال العسكرية. وأعطى بكير مثالاً بشأن أبو غريب أو وثائق فيتنام أو وثائق إيران غيت، ليلفت إنها كلها ليست وثائق دبلوماسية. وذكر إنه أعاد في اليوم السابق، طرح هذا الموضوع. ورأى أن الحكم على ويكيليكس سيختلف إذا ما تم تناوله من هذا الجانب، مؤكداً إن موضوع الندوة هو الأوراق الدبلوماسية لا الأوراق غير الدبلوماسية. وشرح نقطة كان قد أشار إليها الدكتور حسن أبو نعمة بشكل ممتاز -وفقاً لبكير- ومفادها إن جميع الدول تملك عادة أسرار محفوظة بشكل قانوني، أي بناء على قوانين وطريقة معينة للحصول عليها. ورأى أن هناك أسراراً غير شرعية تحمي. وأشار إلى الصدمة التي يسببها تسريب هذا النمط من الوثائق وكشفها، مؤكداً إن كل النماذج المشهورة التي سربت تنتمي إلى هذا النموذج. وأعطى مثالاً على ذلك، صور أبو غريب، التي اطلع عليها الجندي، وبعد أن رأى حجم التعذيب، واعتبرها عملاً غير أخلاقي وغير قانوني، قرّر تسريبها. استنتج بكير إن الدافع أخلاقي وإنساني وقانوني. وفي حالة الجندي برادلي مانينغ Bradley Manning ووفقاً للمعلومات المتوافرة حتى الآن، لم يطلع أصلاً الرجل على جميع هذه الوثائق. وقد وضع القرص المدمج compact disc، ثم قام بعملية نسخ ولصق copy & paste، مؤكداً بأنه لم يكن هناك من دافع. واعتبر بكير أن هذه هي النقطة التي يرغب بإثارة النقاش بشأنها مستأذناً من الدكتور بشارة الي قال عكس ذلك، لأنه، يود أن يعرف الدافع الذي هو مهم، لا بقصد المؤامرة. وأكد على أهمية البحث في هذا الموضوع، لدى التوسع في مسألة التسريبات.

ونوه بكبير بورقة الدكتور أبو نعمة إذ وجدها ممتازة جداً، وإن اختلف معه في النهاية عندما ألقى باللوم أبو نعمة على الدبلوماسية الأميركية في كل شيء. إذ اعتبر بكبير إن الأنظمة العربية تتحمل الكثير من النقاط التي أشار إليها بسبب تردي الوضع للوصول إلى ما نحن عليه اليوم.

وذكر بأنه يوافق أبو نعمة عندما تناول نتائج التسريبات إذ اعتبر إنه سيكون هناك ردود فعل على التسريبات ما سيؤدي إلى التحفظ في التعامل مع الدبلوماسية الأميركية، وأيضاً في التحفظ في المواقف من الأميركيين وفق الدبلوماسية الأميركية.

وفي هذا الصدد طرح سؤاله على أبو نعمة وهو التالي: "بما أننا نتكلم عن الشق الدبلوماسي، هل تعتقد أن هذا العمل سيؤدي إلى تعزيز المسار الدبلوماسي وتصحيحه؛ وإذا افترضنا أنه يتخذ وجهة خاطئة، أم أن تلك التسريبات ستؤدي إلى الإضرار بالعمل الدبلوماسي، وبالتالي هذا لا يساعد على الاستقرار سواء الإقليمي أو العالمي، وقد يزيد من رصيد الحروب ورصيد الأزمات؟ بمعنى آخر، هل أفادتنا ويكيليكس في تعزيز عامل الاستقرار، أم أنها ستؤدي إلى نتيجة عكسية؟"

#### ٤ . الدكتور عماد الشمري

تتاول المتحدث ما جاء في ورقة الدكتور بريزات، وخصوصاً تعريفه للدبلوماسي وعمله، وإثارته في هذا المجال لنقطة حساسة، حين تطرّق إلى التعريف بعمل الدبلوماسي والتعريف بكيف يمكن للشخص أن يمثل بلده وأن يؤدي خدمة وطنية. وقال المتحدث: للأسف هناك خلط بين خدمة البلد أو خدمة الوطن، وبين خدمة النظام. إذ إن كثيراً من السفارات العربية بالتحديد، تعمل على خدمة النظام، ولا تعمل على خدمة الشعوب، ويرأي أن التعريف موجود، وأن الدبلوماسي بحكم خبرته يستطيع أن يعمل ذلك. وفي هذا الصدد ذكر المتحدث مثاليين: **المثال الأول** لأحد دبلوماسيي دولة عربية، وتحفظ على ذكر اسمه، عندما اهتم اهتماماً مبالغاً فيه بإحدى قريبات الرئيس، فتحوّل من سفير لبلده في إحدى الدول الأوروبية إلى وزير خارجية وظل وزيراً للخارجية. في حين أن **المثال الثاني**، يستهدف سفيراً آخر في إيطاليا، أيضاً تمكن بفعل وجوده كسفير من شراء أسهم لأحد أنجال الرئيس في أحد الأندية لتلك الدولة، ثم تحوّل بعدها إلى وزير للخارجية. وبالتالي، المتحدث العراقي أن السفارات العربية تحولت للأسف إما إلى مركز بوليسي لمتابعة المعارضين والمواطنين، أو أنها عبارة عن مركز لعقد الصفقات والأعمال business.

واختتم المتحدث بملاحظة وجّهها إلى الدكتور حسن أبو نعمة، إذ قال: "إن لكل دولة أسراراً يحفظها القانون"، مؤيداً إياه في هذا الطرح، ولكن متسائلاً ومعلقاً عن مدى هذه الأسرار وحجمها. وأعرب عن أسفه لأن

الأسرار في بعض الدول تعني معلومات متاحة لجميع الناس، لكنها تتحول إلى سر ويتم التحفظ عليه، وهو ما يؤخر العمل الأكاديمي والبحثي والباحثين لسنين طويلة ولقرون مديدة، بفعل أنهم محرومون من الاطلاع على مثل تلك المعلومات البسيطة.

#### ٥ . الدكتور غاريت بورتر (تعليق باللغة الإنكليزية)

أراد الدكتور بورتر بداية أن يعلّق على مسألة أثارها الدكتور عزمي بشارة وتتعلّق بتفكيك رموز decode ووثائق الويكيليكس، مشيراً إلى الأفراد الذين يستطيعون الدخول إلى الشبكة الافتراضية حيث عبرت جميع الوثائق -الوثائق العسكرية وبرقيات الخارجية الأميركية - من خلال الموجّه router (جهاز تحديد المسالك). فقد أتيح لكل شخص يستطيع دخول الشبكة قراءة هذه الوثائق والبرقيات، وتفكيك رموزها. ونتيجة لذلك، فإن برادلي مانينغ Bradley Manning هو الشخص الذي تمكّن من الاستيلاء على جميع هذه الوثائق بطريقة إلكترونية، وهو نفسه من سلّمها كوحدة متكاملة إلى ويكيليكس.

وأضاف بورتر إن مانينغ كان يستطيع فك رموز تلك الوثائق، إذ إن أي شخص كان يملك القدرة على دخول الجهاز كان بإمكانه تفكيك تلك الوثائق. وأكد بورتر مرة ثانية على نقطة مفادها إن هناك مئات الآلاف من الناس استطاعوا الوصول إلى هذه الوثائق. وتتسم هذه الوثائق بمستوى متدنّ من السرية. وكانت هذه الوثائق مشتركة بين وكالات الأمن القومي المرتبطة بالحكومة الأميركية. وخلص بورتر إلى إن هذه الوثائق لم تكن على درجة عالية من السرية وكانت متوافرة لدى عدد كبير من الناس وكانوا يملكون جميعاً المقدرة على تفكيكها، وإلاّ فلم يكن ممكناً أن يقرأوها. واعتبر إنه صحيح إنه قد يبدو ذلك مستغرباً للعالم الخارجي، إلاّ إنه أقرّ بالقدرة الفعلية لفرد واحد على الوصول إلى هذه الوثائق كلها، وتسليمها إلى منظمة ويكيليكس دفعة واحدة والتي جعلتها بدورها متاحة للرأي العام.

#### ٦ . الدكتور عبد الوهاب القصاب (المركز العربي)

تطرق الدكتور عبد الوهاب القصاب إلى ما يدعى بالنمطية stereotype، وسماها القولية. فوجد أنه ينبغي ألا يكون هناك "قولبة". ورأى إن ذلك ينطبق على الصراع العربي - الإسرائيلي وكيفية وصفه؛ وعلى القضية الإثنية والطائفية الموجودة في العراق وكيفية توصيفها. وأكد أن هذه نقطة ينبغي التوقف عندها. وأضاف القصاب إنه لدراسة هذه الوثائق، لا بد من التساؤل عن مدى وصول المنشأ، -وشرح إنه إنما يعني بالمنشأ من كتب التقرير-، إلى تفهم حقيقي للحالة التي يصفها في تقريره، ونكون نحن الطرف الثالث لدى قراءتها. وأعرب إنه غالباً ما نعجب بأن رجل بمستوى سفير أو بمستوى مسؤول من مستوى معين يكتب بشيء من

القولبة بشأن الموضوع. أما الأمر الثاني، الذي أشار إليه قصاب فهو محاولته إدراك الأسباب وراء السعي الحقيقي للولايات المتحدة لمحاولة دمج العراق حالياً بالنظام الإقليمي لأمن الخليج العربي.

ورأى القصاب وجود سببين، أما السبب الأول فهو وفقاً لقصاب، إصرار عربي منذ البداية، أي منذ بداية تشكيل دولة العراق الحديثة عام ١٩٢١، لإبعاد العراق عن الخليج العربي. وقد كان ذلك تطبيقاً لسياسة بريطانية ورثتها الولايات المتحدة في ما بعد. في حين إن السبب الثاني، هو سبب بنيوي structural ضمن العراق. ولفت قصاب إن العراق هو أساساً جزء من الهلال الخصيب، أي أن العراق بلد متوسطي، وينظر إلى العراق غرباً، واعتبر ذلك حقيقة، بسبب المصالح الجيوستراتيجية للعراق والعلاقات الإقليمية. لهذين السببين رأى قصاب محاولة الولايات المتحدة زحزة العراق عن موقعه الحالي ومحاولة دمج بالنظام الأمني الخليجي.

بعدها أبدى القصاب إعجابه بورقة الدكتور محجوب الزويري وإن سجّل تحفظه على نفيها، أي الورقة، وجود علاقة أو تخادم بين الولايات المتحدة وإيران، مبرراً موقفه بأن ما ظهر من الوثائق حتى الآن قد يؤيد ما توصل إليه الدكتور محجوب، لكن عندما يطبق هذا الأمر على الواقع، هنالك حتى لقاءات رسمية قام بها خليل زادة من جهة، وكاظمي قمي السفير الإيراني من جهة ثانية، ثم هناك صفقة واضحة أتى بموجبها نوري المالكي لرئاسة وزراء العراق.

## ٧ . الدكتور مؤيد الوندائي

شكر المتحدث السفير موسى بريزات، لأنه ختم حديثه قائلاً: "إن الدبلوماسية العربية تسعى بشكل عام إلى خدمة النظام قبل كل شيء آخر". وأكد صحة مقولته مشدداً على إنه كلام صريح ويُشكر عليه وهو أمر معروف. وتابع إذ رأى أن الدبلوماسي في النظام البريطاني على سبيل المثال، هو موظف مدني civil servant وليس بسياسي، في حين أن الوزير قد يأتي ويذهب في دورة انتخابية. لكن ولاء الدبلوماسي، وهو الموظف المدني، يبقى للبلد قبل أي أمر آخر. لذلك أطلع المتحدث، متوجهاً إلى الحضور، كونهم اطلعوا على الوثائق السياسية، بأنه هو اطلع على الوثائق العسكرية. وتكلم عن تجربته وكيف كان يشعر أن الدبلوماسي بصفته موظفاً مدنياً، كان يكتب أحياناً لحكومته بمعنى التوبيخ قائلاً "إنكم تفعلون كذا، وكذا، وهذا يضر بنا هنا وهناك". وسأل المتحدث الحضور بناء على ذلك، عن قراءتهم لموقع الدبلوماسيين الأميركيين، وهل هم فعلاً موظفون مدنيون، أم هم جزء من أدوات السلطة؟ ثم أشار إلى أن بورتر إذ هو يتكلم عن المقاومة العراقية استخدم مصطلح insurgent ويعني المتمرد، في حين أكد أن العراقيين (وهو عراقي

الجنسية) يستعملون مصطلح resistant، أي مقاوم، إلا إنه برّر لبورتر استعمالها كونه استنقاها من القراءات الأميركية التي تعود عليها. وسأل المتحدث الحضور إن كانوا يعتبرون الدبلوماسيين الأميركيين، من خلال قراءتهم، بأنهم ينعمون بأي استقلالية. وأشار إلى أن الدبلوماسيون الأميركيون اليوم يقولون عندما نلتقي بهم، بأنهم ارتكبوا أخطاء؛ وطرح على الحضور سؤالا مفاده إن وجدوا في مراسلات الدبلوماسيين ما يؤشر إلى شيء من الأخطاء التي تركتها واشنطن في إدارتها العملية.

### . الدكتور رياض طيارة (رئيس الجلسة)

دعا رئيس الجلسة إلى الالتزام بالموضوع الأساسي الا وهو وثائق "ويكيليكس".

### ٨ . الاستاذ خليل عيسى

أشار المتحدث إلى إعادة تعريف الدبلوماسية والتفكير فيها كما دعا إليه لداريل كوبلاند Daryl Copeland [وهو محلل وكاتب وأستاذ كندي متخصص في الدبلوماسية والسياسة الدولية والإدارة العامة والقضايا العالمية، وهو يعلم في جامعة تورنتو وجامعة جنوب كاليفورنيا] بعدها، ذكر مسألة تقييم العمل الدبلوماسي من خلال ويكيليكس، معتبرا إنه عندما نقرأ ويكيليكس، نستطيع القول: إن هناك نوعين من الدبلوماسية: الدبلوماسية التي تمارسها الدول العربية ودول العالم الثالث أي التابعة، والدبلوماسية الإمبراطورية؛ إذ يدرك السفير أو الموظف في السفارة الأميركية دوره ويعي حيوية مصالح الإمبراطورية، وهو أمر جلي. وأشار المتحدث إلى وثيقة لكينتون تعدد فيها جميع المناطق الحيوية للمصالح الأميركية، وشملت ثلاث أو أربع صفحات مهولة.

وتساءل المتحدث إن كنا عندما نقيم الوكيليكس، إن كنا نقيم فعلاً كيف ننظر إلى أنفسنا كدبلوماسيين وكسياسيين؟ وأضاف، إن فكرة الدبلوماسية في العالم العربي مرتبطة بمصلحة النظام والحكم، بمصلحة الدولة والعائلة، والقبيلة والعشيرة. أي ليس هناك فعلاً دبلوماسية حديثة، هناك دبلوماسية "تبعية". وتوجه إلى مقدمي الأوراق مشيراً إلى إن ما تناولوه في أوراقهم هو محاولة لصق معايير أخلاقية بالدبلوماسيين، وتساءل إن كانوا يلتزمون بالمعايير. أشار إن محاولة الدفاع عن مهنة الدبلوماسية غير مهمة؛ مشيراً إلى تركي الفيصل إذ يطلب -وفقاً لبرقيات ويكيليكس المسربة- من الناتو احتلال لبنان في حرب تموز/يوليو ٢٠٠٦؛ ولا تتأثر بعد هذا الكشف علاقة لبنان بالسعودية ولا يكون هناك أي محاسبة. وأشار إلى إنه لا يجب الفصل بين السياسة الأميركية والمصالح الاقتصادية لدى تناول موضوع الوثائق المسربة والدبلوماسية، مشيراً إلى إن الكلام عن الدبلوماسية يظهرها وكأنها مرتبطة بالسياسة فقط. وذكر أفريقيا والمناجم والشركات التي تعمل فيها في



النفط والماس، وأعطى مثلاً هناك إذ يطلب إلى السفير الأميركي من شركة عملاقة متعدّدة الجنسيات corporation أميركية التواصل مع الحكومة المحلية للضغط على القبائل من أجل عدم المقاومة. وشدّد على التداخل تام بين السياسي والاقتصادي؛ واعتبر أن التحليل السياسي المنفصل عن السياق الاقتصادي لا قيمة له.

#### ٩ . الدكتورة شمامة خيرالدين

ذكّرت المتحدّثة بما قاله المفكر الجزائري مالك ابن نبي: "سنظل نُستعمر طالما لدينا القابلية للاستعمار"؛ وعلّقت إنها سنقول قياساً على هذا إنه لا يُتأمر علينا، إلا بقدر ما تكون لنا القابلية بأن يُتأمر علينا. واعتبرت إنه تم فتح السكك أمام المؤامرة؛ وهذا ما أحدث الزلزال. أما نشر المؤامرات فاعتبرتها المتحدّثة مجرد هزات ارتدادية.

#### ١٠ . الدكتورة نهى تادروس

شاركت إحدى الحاضرات باعقادها إنه يبدو من الواضح أنّ الهدف والصدى اللذين حاز عليهما موقع ويكيليكس في الولايات المتحدة يتناولان قصة العلاقة بين العرب وإيران. وأشارت إلى ما قاله أستاذ في نيويورك الذي اعتبر أن موقع ويكيليكس غير مهم، ولكن تبين أن العرب، أي الحكومات العربية والدبلوماسيين العرب، يحاولون يجرّوا لأميركيين وكأنهم أطفال، فيدعّونهم للهجوم على إيران ويطلبون منهم ألا يفشوا إنهم هم من طلب منهم ذلك. وأضافت معقبة، هذا ما فسره أحد الأميركيين، بينما نعوم تشومسكي المعارض، تحدث أيضاً عن النقطة الخاصة بإيران في ويكيليكس ورأى إن السياسة الأميركية أثبتت ازدواجيتها، لأن الأميركيين يتحدثون كأن الحكام هم كل الشعوب، وهم يعلمون أن مؤسسة بروكينغز في واشنطن Brookings Institution أجرت باستفتاء، وبينت أن ٨٠ في المئة من الشعب العربي، يعتبر أن الخطر هو إسرائيل، بينما رأى ١٠ في المئة من المستطلعين، أن إيران هي المشكلة.

وكان فكرة الوكيليكس، كانت تركز على الخلاف العربي - الإيراني، تحضيراً لموقف أميركي تجاه إيران، إلى إن جاءت ثورة تونس ومن ثم ثورة مصر لتغيير هذا.

واختتمت بالسؤال: "هل كانت الخلافات العربية الإيرانية، هي ما أرادوا التركيز عليه وإيصاله كرسالة؟"

. الدكتور محبوب الزويري (برد)

ردّ الدكتور الزويري على ملاحظات المشاركين بإجابات موجزة، فاعتبر إن موضوع خلاف العرب وإيران لا يحتاج إلى ويكيليكس. ورأى أن تاريخ خلافات العرب مع إيران يعود إلى مئة سنة على الأقل، وذلك بالنسبة إلى العصر الحديث وظهور ما يسمى بالدولة القومية national state وظهور الدولة القومية. واعتبر أن العرب لديهم مشكلة كبيرة مع إيران، منذ أيام نظام الشاه لأنه كان شرطي المنطقة. وعندما كان نظام الشاه على علاقة بإسرائيل لم يكن العرب على علاقة بإسرائيل بعد. وعندما انتهى النظام الملكي وانتقل العرب إلى معسكر السلام، أصبحت إيران ضد السلام. وهذه مشكلة أيضاً، ولاتحتاج إلى وثائق ويكيليكس. وتشكل وثائق ويكيليكس حلقة في مسلسل من الخلاف المستمر بين العرب وإيران، وهو خلاف له جذور في التاريخ. وأضاف إن وثائق ويكيليكس لا بد أن تعزز من استمرار انعدام الثقة بين العرب والإيرانيين.

أضاف الزويري إنه يعتقد أن وثائق الخارجية الأميركية قد تجيب، وقد تنفي لفترة مؤقتة موضوع عدم وجود صفقة. وأعرب عن اتفاقه مع الدكتور عبد الوهاب قصاب، أن الاجتماعات الأمنية في بغداد بشأن موضوع أمن العراق، قد يكون لها علاقة بالصفقة، أو قد تأتي ضمن وجود نوع من التنسيق. لكنه اعتقد أنها قد تنفي هذا الأمر، ولو لفترة مؤقتة، ودعا لمزيد من التعمق في قراءة هذه الوثائق لأن ذلك من شأنه تغيير هذا الاستنتاج.

وحول ما قالته الدكتورة فاطمة الصمادي، أوضح الزويري أن المستندات التي تفضلت بها دقيقة، لكنه أعرب عن اعتقاده أن الخطاب الرسمي الإيراني حتى الآن هو خطاب مشغول بملفه الداخلي. ورأى أن وثائق ويكيليكس لم تحتل أولوية كبيرة على الرغم من وجود هذا النقاش الداخلي، وأضاف أن الظرف الداخلي الإيراني اضطر إيران إلى عدم اعتبار ما جرى الكشف عنه أولوية.

وتطرق إلى أداء السفراء الأميركيين، على الأقل بالنسبة إلى إيران، موضحاً أنه ليست جميع هذه الوثائق متعلقة بالسفراء أو باعتقادات سفراء، وإنما قد تعود معظمها لكبار المسؤولين الأميركيين؛ كنائب وزير خارجية، أو مساعد وزير دفاع، وغيرهم، مؤكداً إنها ليست متعلقة بانطباعات السفراء.

وقال الزويري إنه سنحت له الفرصة لقاء السفراء في الولايات المتحدة في مؤتمرات أو من أثناء زيارته إلى واشنطن، ما أتاح له التعرف على طبيعة عملهم. وذكر في هذا الصدد إن السفراء لا يقومون بتنفيذ المهام بأنفسهم، بل من يقوم بذلك هي "الأجنحة" داخل السفارات الأميركية، وقد تتخذ تسميات مختلفة من أمنيين أو سياسيين أو غيرهم. وجزم أن السفير قد لا يصدر عنه شخصياً أي تصريح باستثناء برقيات محدودة. أما

البقية، فرأى الزويري إنها تصدر كلها عن أجنحة السفير داخل السفارة، معتقداً أن هؤلاء الأشخاص هم أكثر دينامية من السفير نفسه.

### . الدكتور موسى بريزات (يرد)

في رده شرح الدكتور بريزات للحاضرين ما قصده من مصطلح "الدبلوماسية"، متسائلاً عن تعريف المصلحة الوطنية؟ فبدأ بريزات بشرح تعريف السياسيين للدبلوماسية كونه موظفاً مدنياً قد يساهم في إرسال المعلومة، أما مضمون القرار فيتم تعريفه من قبل السياسيين وحدهم. وهنا أعاد بريزات تأكيد دور المجتمع المحلي والنخبة والمفكرين في أنهم يصوغون مضمون المصلحة الوطنية، حتى يستطيع الدبلوماسي تنفيذها. ولفت إلى إن الدبلوماسي لا يصوغ المصلحة الوطنية من خلال مهمته، وإنما قد يزود المركز أو الجهات المعنية بالمعلومات الدقيقة عن البلد الذي يقيم فيه. أما عن تفسير كيفية عمل السفير والدبلوماسي في الميدان، فأشار بريزات إلى أهمية فهم الدبلوماسي لواقع الدولة ولتوازن القوى فيها، وضرورة رصده الأوضاع فيها بالتفصيل، وينقل هذه الصورة إلى عاصمة بلده. صحيح إنه عليه أن يمثل بلده بشكل جيد ولائق ورائع ومميز، لكنه لا يصوغ السياسة التي تأتيه من البلد الأم ولا يكتب التعليمات. إذ إن هذه السياسة تصاغ من المؤسسات ويدخل فيها الرأي العام والإعلام، ويدخل فيها دور المجتمع المدني. ودعا بريزات دعوته لقوى المجتمع المدني في العالم العربي، والمفكرين والنخب، للتدخل في صوغ المصلحة الوطنية من خلال إعلان جملة مواقف: كمثل موقف إما داعم لإيران أو مناهض لها، أو مواقف من الصراع العربي - الإسرائيلي، أو مواقف من التجارة العالمية أو مواقف أخرى أياً كان نوعها؛ إذ تعكس المصلحة الوطنية مصلحة الوطن، وليس - كما كان قد أشار سابقاً - مصلحة نظام الحكم فحسب. واستطرد الدبلوماسي السابق ليشرح أن في ذلك كمن ما قصده بالمفهوم، موضحاً بالإشارة إلى المثل الأميركي إذ إن الدبلوماسيين الأميركيين هم أيضاً موظفون مدنيون، وهم لا يتأثرون بتغيير الإدارة، إذ هدف أي إدارة هو تحقيق المصلحة الأميركية، وإن حصل اختلاف في الأولويات وفي الشكليات.

وروى بريزات كيف يستقيل الكثير من الدبلوماسيين مع الإدارة، إذ إن النخبة في الإدارة الأميركية، أي الدبلوماسيين الأميركيين، ستقيلون جميعاً عندما تستقيل إدارة ما، وبخاصة السفراء منهم. ويتم تعيين بعضهم أو إبقائه أو استبداله؛ ويتغير الدبلوماسيون يتغيرون؛ وقد يتعرض الدبلوماسي لأزمة ضمير، أو قد لا يوافق سياسة معينة، فإما أن يتكيف أو يترك منصبه أو يأخذ موقفاً هامشياً. وهذا الأمر شائع.

أما النقطة الثانية التي تناولها بريزات، والمتعلقة بإيران، حقيقة، فلاحظ بريزات أن الذاكرة تبدو قصيرة. وأضاف إن الدول العربية تتطلق من مصلحتها، معلقاً إنهيؤيد ما يشاع في ويكيليكس بشأ، مواقف بعض الدول العربية من إيران. واعتبر أن صحيح إن هذا الموقف يثير تساؤلاً، إلا إنه عبّر عن اعتقاده إنه أعطي حجماً أكبر من حجمه الفعلي. إذ قد ينصح زعيم ما زعيماً آخر بما يجب أن يقوم به أو لا يقوم بها، ثم قد تأتي قوة دولية أو ظروف ما فيتغير. ولا بد من طرح السؤال التالي: "إلى أي مدى يمكن الحكم على تصريح أو موقف ما، وكأنه قد أصبح القرار أو السياسة، في حين إن السياسة مرادف للخداع والتلاعب.

وشرح بريزات عما اعتبرها أهم نقطة لم يستطع توضيحها فوجد أن في عمل السفير ما يجعله يبدو إنه يعمل دوماً ببراعة، بسبب محاولته المستمرة للتلاعب بنقاط الضعف في النظام الذي يعمل لديه، ما يجعل تقارير السفراء تحظى بتلك الأهمية، وشدّد مجدداً على دور السفير في خدمة مصلحة بلده في ظل نظام دولي يقوم كله على التنافس. فيعمل أي دبلوماسي وكأنه يعمل في حالة تعاونية مطلقة؛ في حين إن الدبلوماسية تعرف المصالح وتتفاوض المصالح. إذ يقوم النظام الدولي قائم أساساً على مبدأ الندرة، وعلى جزء من اللعبة الدولية يسمونها اللعبة الصفرية، حتى في ما يتعلّق بأسعار النفط، وبصفقات التجارة. واستنتج إن كل دبلوماسي ينقل نقاط الضعف في أي بلد لمصلحة تعظيم فرص بلده، حتى وإن كان البلد هذا ينتمي إلى الدول الصديقة.

وفي ما يخص نظرية المؤامرة عبّر بريزات تطرّق إلى التصدعات التي يعاني منها النظام العربي إضافة إلى الإشكاليات السائدة في نا يتعلّق بغياب الديمقراطية والمحاسبة والمساءلة. فرأى إنه هو أيضاً بحاجة إلى إعادة إحياء. صحيح إنه أكد وجود المؤامرة في موجودة في التاريخ وفي السياسة وفي الدبلوماسية، وفي رأيه يخطئ كل من ينفي ذلك، إلا إنه رفض أن يعزو كل ما يطرأ على العلاقات الدولية إلى مؤامرة ما. وجزم بريزات إن في السياسة الدولية هنالك من يخطط، ويستغل نقاط ضعف جهة ما لصالح جهة أخرى، كما أقر بالتلاعب والخداع في العلاقات الدولية. ووجد إنه من الطبيعي أن تحاول كل دولة أن تكسب على حساب الآخرين، لذلك لا بد أن ترضي الحد الأدنى من الأطراف. وتأسف إذ لفت إلى إن العلاقات بين العرب وبين الآخرين هي الصفقة التي تأتي دائماً على حساب العرب لأنهم الطرف الأضعف.

أما بالنسبة للخداع الذي ذكر بريزات آنفاً، فاستعاد وثيقة الدبلوماسية الأميركية السابقة أبريل غلاسبي April Glaspie، والتي ذكرت أكثر من مرة في الجلسة الصباحية، وذكر إنه كان ممت كانوا قد اطلعوا عليها، وهو سنحت له الظروف أن يتعرّف شخصياً على السفارة السابقة عندما كان نائب المندوب الدائم في نيويورك في الثمانينيات، معتبراً إن ما حدث حينها كان مؤامرة.

بعدها تطرّق إلى موضوع إيران متسائلاً لماذا لم يصدر شيء عن الدبلوماسيين الآخرين غير أولئك في السفارة السويسرية، ولا سيما إن بريزات أعرب عن قناعته بأن في حوزتهم تقارير في غاية الأهمية. وأكد إنها لم تنتشر لأنه مطلوب حذفها، إذ هي ترسم السياسة الفعلية للدولة المعنية، فرجّح أن تكون مصنّفة أسراراً عليا top secret، وأن تتضمن تعليمات من القيادة العامة. وعزا بريزات الاهتمام العربي بهذه التقارير إلى مشكلة العالم العربي بالنسبة إلى المعلومة، إذ إنه يعاني من نقص في المعلومات بعكس المجتمعات المفتوحة التي تملك معلومات عن الدبلوماسيين والسفارات والإجازات. واعتبر بريوات أن المفكرين والكتاب العرب يسعون للحصول على مصدر قريب من السلطة أو مصدر حساس أو مصدر له موقع اجتماعي أو سياسي، إذ هم يبحثون عن المعلومة.

وأكد بريزات في نهاية رده أن الدول الأوروبية لا تعطي أهمية لهذه التقارير، كذلك التي تعطي لها في العالم العربي.

**. الدكتور هشام القروي (يرد)**

ردّ القروي على ملاحظة الدكتور عزمي بشارة، في ما يتصل بموضوع المؤامرة مؤكداً وجود المؤامرة في السياسة، فاعتبر السياسة مؤامرة نسبية، منذ عصر يوليوس قيصر وشكسبير، وقبل ذلك بكثير، وخير مثال على ذلك، المؤامرة التي ما فتئت تحاك ضد الفلسطينيين. إلا إنه لفت إلى إنه لم يذكر كلمة المؤامرة في مداخلتي، ولم يقل أبداً إن التظاهرات التي اندلعت في ميدان التحرير أو في تونس هي مؤامرة أميركية، ولاسيما إنه من المدافعين عن تلك التحركات الاحتجاجية. وشدّد القروي إنه لطالما دافع بشدة عن الشفافية، لذلك رجّح وقوع التباس. وأشار إلى إنه أعلن في بداية مداخلته، إن الأحداث التي تسارعت في المنطقة العربية، مثيرة زوبعة في وجه الأنظمة الاستبدادية تدحض زعمهم أن الأمن لا يزال ممكناً من دون شفافية. وأكد القروي أن الولايات المتحدة الأميركية هي التي تربط الاستقرار العربي بالأمن، وذلك كجواب لسؤال طرحه كونه لا يعلم الكثير عن الدبلوماسية. فهو كان قد اعتبر إن هذه البرقيات عالية السرية، ولا يفترض أن تكشف أو يطلع عليها عامة الناس، إذ إنها كتبت ليطلع عليها دبلوماسيون ورؤساء في وزارة الخارجية. وأكد إن هذه البرقيات موجهة لوزير الخارجية وللبيت الأبيض ربما، وللزملاء وللدبلوماسيين، دون أن تكون موجهة لعامة الجمهور. أما الآن فقد أصبحت ملكاً للجمهور، فكان لا بد أن يطرح للقروي سؤاله عن كيفية إمكان وقوع هكذا حادث. واعتبر القروي أن إجابة الأستاذ بورتر كانت شافية نسبياً، كما اقتنع بحديث الزميل عن بروتوكول الإنترنت السري Secret Internet Protocol. وهو أكد إنه تساءل كيف سرّبت هذه البرقيات، إلا إنه نفى أن يكون قد اعتبر فعل التسريب مؤامرة، وإن كان قد طرح القروي فرضية هي التالية: "ما الذي

يمنع أن تكون مؤامرة؟ من منا يعتقد أن الحكومة الأميركية تسيطر على كل الأمور في الولايات المتحدة؟ من يعتقد منا أن البيت الأبيض يسيطر على كل شيء أو أن وزارة الخارجية تسيطر على كل شيء؟ أو أن هناك دائرة واحدة في الوزارات الأميركية تسيطر على كل شيء؟" فأكد القروي أن الجميع يعلم أن السلطة موزعة في الولايات المتحدة، في ظل وجود أجنحة تتصارع في ما بينها، وهي أكثر عدداً من الأجنحة المتصارعة في إيران. وبناء على ما سبق، وجد القروي طبيعياً عدم استبعاد فرضية أن يكون جزء من هذه السلطة قد استعمل هذه التسريبات لأغراض معينة. وأكد إنه اكتفى بطرح السؤال من دون أي جزم من قبله. وأضاف سؤالاً آخر يتعلّق باستقلالية الدبلوماسيين الأميركيين. إذ أعرب القروي عن قناعة ترسخت لديه إثر قراءته هذه البرقيات، يكمن فحواها بأن الدبلوماسيين الأميركيين ينعمون بالاستقلالية. وشرح وجهة نظره بأنهم يعلمون عندما يكتبون البرقيات ويجهونها إما لزملائهم أو لرؤسائهم، وهم واعون إنهم مطالبون بتقديم الواقع كما يرونه، وبصوغ تحليلهم للأوضاع فيه. وفي ذلك تكمن أهمية هذه البرقيات، موضحاً إن من يكتب ليس بصحفي؛ إذ إن الصحفي يراقب نفسه، في حين إن الدبلوماسي يكتب برقيات بسرية تامة.

#### . سعادة السفير حسن أبو نعمة (يرد)

تحدّث السفير الدكتور حسن أبو نعمة عن الأمثلة التي ذكرت بشأن التسريبات ولاحظ إنها تميّزت كلها بطابع عسكري. ثم شرح بعضاً مما جاء في ورقته ليفسر أولاً، إن قصده من قوله عن التسريبات المسربة موضوع الندوة تكن الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة. وذكر بعض الأمثلة، بدءاً بأوراق البيتاغون سنة ١٩٧١، التي تميّزت بطابع عسكري، وإن حملت في الحقيقة طابعاً سياسياً وعسكرياً على حد سواء. في حين إن أشرطة نيكسون تميّزت بطابع سياسي ودبلوماسي معاً.

بعدها انتقل الدبلوماسي السابق إلى مسألة إلقاء اللوم الشديد على الدبلوماسية الأميركية، لا بل إنه حملها مسؤولية كبيرة في زعزعة الأمن ليس في منطقة الشرق الأوسط، وليس منذ مطلع هذا القرن والحروب الأخيرة فحسب، بل ومنذ وقت طويل جداً، لافتاً إلى أن ورقته تضمنت مزيداً من التفاصيل. إلا إنه أكد إنه لم يقصد بذلك إعفاء الدول العربية أو الدبلوماسية العربية من الكلام. بالعكس، ولفت إلى ما قالته الأخت الجزائرية حين أعطت مثلاً عن استعداد الأنظمة العربية للاستسلام للهيمنة الأميركية ما سهل استفحال دبلوماسية مدمرة لينجم عنها الحصيلة السيئة التي نحن الآن بصدد المعاناة منها. أما بالنسبة إلى يجري الآن من تغيرات في المنطقة، فقد توقع أبو نعمة أن تشهد المنطقة بداية النهاية لهذه الهيمنة والعودة بالمنطقة إلى أوضاع أفضل بكثير.

وفي تعليق الدكتور أبو نعمة على دور هذه التسريبات في تعزيز الدبلوماسية أم في تسببها بالإساءة إلى العمل الدبلوماسي، رأى الدبلوماسي السابق إن ذلك يعتمد على كيفية التعامل معها. وكرّر إصراره على رفضه أن يرى في هذه التسريبات مرحلة فاصلة في تاريخ العمل السياسي أو الدبلوماسي، ونبذ اعتبارها محطة مهمة في سياسات الدول واستراتيجياتها ونهجها. وأشار أبو نعمة إلى تجاوزات أخرى حدثت في مجال التسريب، من دون أن يقلل من أهمية التسريبات الأخيرة. فخلص إلى إنه لا يملك جواباً قطعياً ونهائياً يحسم مدى التسبب بالأذى للعمل الدبلوماسي أو بتعزيزه، وإن كان لَحْظ إلى إنه في حال تمت الاستفادة من درس التسريبات الأخيرة ومن ثم تم التعامل بحذر أكبر - وشدّد أبو نعمة هنا، لا يعني الحذر بالمعنى السلبي - في العلاقات الدبلوماسية، أو بوضوح أكثر، فهذا من شأنه دفع العمل الدبلوماسي قُدماً.

من ناحية أخرى، أكد أبو نعمة على حق الدول بالاحتفاظ بالأسرار، شرط أن يكون محكوماً بقوانين وتشريعات اجتازت المراحل القانونية اللازمة واستندت إلى ما أقرته المجالس التشريعية المنتخبة ديمقراطياً. ولفت إلى ضرورة أن يكون هناك تعريف واضح لما يحق للأجهزة الرسمية أن تحتفظ به كسرّ، أو ما يحق للمواطن أن يطلع عليه، انطلاقاً من حقه في الحصول على المعلومة. وفي هذا السياق، لاحظ أبو نعمة أيضاً غياب قاعدة جاهزة تقرّر ما هو الصح وما هو الخطأ. وارتأى أبو نعمة ضرورة إرساء قواعد محكمة بقوانين متفق عليها، ويتم التوصل إليها بالأساليب الديمقراطية المتعارفة. وتطرق الدكتور أبو نعمة إلى موضوع استقلالية السفير ليؤيد ما قاله زميله السفير الدكتور موسى بريزات بشأن استقلالية السفير وكونه موظفاً مدنياً لا يقوم بدور سياسي، إلا إنه أضاف أن تلك الاستقلالية تعتمد على عوامل مختلفة تشمل أهمية الدولة، وقوة شخصية السفير، وحضور السفير إضافة إلى الدعم الي يتلقاه من الدولة التي يمثلها. واعتبر أبو نعمة أن تدخل السفير من خلال الاتصال بالناس والتواصل معهم ومدى قدرته على التأثير أمور قائمة وشائعة؛ لا بل هي في رأيه تشكّل جزءاً مهماً من عمل السفير إلى جانب سعيه للارتقاء بالعلاقات الاقتصادية والتجارية، ولفت في هذا الصدد إن وزارة الخارجية البريطانية تعرف بوزارة الخارجية والتعاون الاقتصادي. وختم رده بقوله إن دور السفير يقتضي بالسعي إلى خدمة مصالح بلده، دونما الاقتصار على المسائل السياسية أو المسائل العسكرية أو الأمنية فحسب، وإنما يتجاوز دوره ذلك، ليطل دائرة أوسع بكثير.

**. الدكتور موسى بريزات (يرد)**

تطرّق المتحدث إلى دور السفير والدبلوماسي بالإشارة إلى إنه ليس هناك من تمييز بمهام السفير، إذ إن الدبلوماسي يمارس أحياناً التضليل خدمة لمصلحة بلده، وقد يعتمد إلى الدس، إضافة إلى إنه قد يلجأ إلى ممارسة مهام أخرى. ووضّح المتحدث ما اعتبره "اعترافاً منه" شارحاً بأن تلك الممارسات تتم بصورة مستترة،

كمثل من يقطع رقبة أحدهم من دون إسالة الدماء، أو كالتأؤب من دون فتح الفم. أما في ما يتعلّق بشخصية السفير وتأثيرها، فأشار المتحدث إنه يودّ، وخلال الثلاثين دقيقة المتبقية، اقتباس بعض ما ورد في كتاب عنوانه "على ضفاف الأردن" لمؤلفه الدبلوماسي البريطاني السابق تشارلز جونستون ١٩٧٢ *In the Brink of Jordan*, by Sir Charles Johnston، وكان قد قدم له دبلوماسي آخر، اسمه هارولد ماكميلان Harold Macmillan، إذ قال ما مفاده إن لا تقتصر وظيفة السفير البريطاني بعكس ما يعتقد الكثيرون، على التصرف بصورة آلية لنقل الرسائل إلى الوطن الأم، مؤكداً إن هنالك وظائف ومواقع دبلوماسية كثيرة تؤدي فيها شخصية السفير دوراً حاسماً، ما يعكس ازدواجية مهمته. وتابع المتحدث ليشرح إن على السفير أن يكون بإمكانه من خلال الرسائل المنسجمة والمثابرة والأكيدة والمختصرة والمركزة، أن يملي إرادته على وزارة الخارجية في شارع داوننج *Downing Street* (حيث مقر الوزارة الخارجية).